وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

التأليف الصوفي في الغرب الإسلامي (5هـ-9هـ)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالبين:

- بلقاسم مراد

- شاوشي المحجوب

إشراف الأستاذ:

- موهوبي عبد العزيز

السنة الجامعية:2019/2018م

شكر وعرفـــــــان:

بســـــم الله الرحمان الرحيم

﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وبعونه تم إنجاز هذا العمل نسأله التوفيق لأنه أعاننا على إنجازه ووفقنا إلى إتمامه،فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

بهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة ونخص بالذكر الأستاذ المشرف ‹**نور الدين موهوبي**› الذي لم يبخل علينا طيلة مدة إنجاز هذا البحث بتوجيهاته القيمة السديدة،ونصائحه الرشيدة وسعة صدره معنا،جعل الله علمه هذا في ميزان حسناته.

أتوجه بالشكر إلى كل أساتذة التاريخ الذين سايروني في المسار الدراسي الجامعي بجامعة المدية، إلى كل من ساعدنا بصالح دعائه، و دعمنا بكل ما تيسر له من إمكانيات مادية ومعنوية لإتمام هذا العمل المتواضع...

إلى كل الأساتذة وجميع طلبة جامعة يحي فارس بالمدية، إلى كل هؤلاء أتقدم بأصدق مشاعر التقدير والامتنان وجزيل الشكر والعرفان الذي لا ينقصه سوى عجز الكلمات.

إهـــــــــــــــــــداء

قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾

إلى منبع الحب والحنان التي غمرتني بحبها ورعتني بعطفها وحنانها،إلى من دعواتها غطتني ومهدت طريقي أين ما حللت فكانت نبراس حياتي،وإلى من تملك الجنة تحت أقدامها ويعجز اللسان عن شكرها سر وجودي وضياء دربي أمي الحنون حفظها الله ورعاها.

إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ...أرجوا من الله أن يمد في عمرك...لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار...وستبقى كلماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد... والدي العزيز.

إلى سندي ومصدر قوتي إلى الركائز التي اتكئ عليها وحققت حلمي إخوتي وأخواتي،إلى الأخ الأصغر ريان أتمنى له التوفيق والنجاح في شهادة البكالوريا.

إلى من شغلني نصيب من ذكرياتي ومن عشت معهم أيام جميلة في حياتي، زملائي *زميلاتي في الدراسة.

المحجوب

إهـــــداء:

مصداقا لقوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)

اهدي هذا العمل المتواضع والدي الكريمين حفظهما الله ومنحهما الصحة والعافية .

إلى كل أفراد العائلة الكريمة كبارا وصغارا، إلى زملاء المسار الدراسي وكل من كان له فضل علينا وساعدنا ولو بالقليل في إعداد هذا العمل .

مـراد

مقدمة

مقدمــة:

الصوفية أو التصوف هو مذهب إسلامي وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله ،أي الوصول إلى معرفته أو العلم به كما يعد مبحثا من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي، حيث يرتكز التصوف على ثلاث مكونات أساسية وهي: الكتابة الصوفية والممارسة الروحية والإصلاح الصوفي، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وهذا المنهج يقولون أنه يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه ومدارسه ومجتهدوه وأئمته الذين يشدون أركانه وقواعده كغيره من العلوم،حتى جعلوه علما سموه علم التصوف وهلم التربية وعلم الأخلاق.

والتصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري كنزعات فردية تدعوا إلى الزهد وشدة العبادة،وازداد انتشارها بعد الفتوحات الإسلامية وما تبع ذالك من خلافات سياسية واجتماعية ودينية، والمعلوم أن نشأتها كانت كردة فعل مضاد لانغماس بعض الناس في الترف وضروب المتع، وقومها إخضاع النفس لأنواع من الرياضات الروحية طمعا في الوصول إلى المعرفة الحقيقية المطلقة، وامتدت هذه الحركة وصولا إلى بلاد الغرب الإسلامي بداية من القرن الخامس هجري وانتشرت حركة التأليف فيه، التي ساهمت في إثراء الفكر الديني لهذا المجتمع وهذا ما عرفته حركة التأليف من انتشار.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى:

-الميول لهذا الموضوع والرغبة في البحث فيه.

-باعتبار أن هذا الموضوع يحمل أهمية علمية تتمثل في الكشف عن ضاهرة دينية واجتماعية انتشرت في بلاد الغرب الإسلامي من القرن 5هـ إلى غاية القرن09هـ.

-تقديم صورة حقيقية حول التصوف وإزالة الغموض والالتباس حول هذا المذهب ومكانته في المجتمع خاصة في القرن5هـ-9هـ الذي يمثل العصر الذهبي في تاريخ التصوف.

-باعتبار أن التصوف يعتبر عنصر أساسي في الدين الإسلامي يجب علينا دراسته والتعرف على أصوله.

طبيعة الموضوع ديني تطلب منا إتباع المنهج التاريخي والتحليلي، حاولنا من خلاله تتبع الأحداث وتحليل المعلومات لإزالة الالتباس والغموض حول التصوف وإبراز دور المتصوفة.

وتمثل أثر التصوف الديني في توعية العامة بأمور دينها في المساجد والزوايا من خلال الوعظ والتذكير والعمل على التعريف بالدين الإسلامي في البوادي و الأرياف.

وساهم التصوف اجتماعيا في محاربة البدع والخرافات التي ظهرت في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى نشر التعليم من خلال الزوايا.

التعرف على الدور الذي لعبه التصوف في الحياة السياسية من خلال دور المتصوفة وتقريبهم من السلطة، ومشاركتهم في الحكم والاستعانة بهم في العديد من الأحكام من قبل الخلفاء في الغرب الإسلامي.

ولا يخفى على أحد أن موضوعنا هذا قد تطرق إليه العديد من الباحثين باختلاف مستوياتهم، وقد وجدنا دراسات سابقة حول موضوع التصوف بصفة عامة إلا أن موضوع التأليف الصوفي في الغرب الإسلامي لم نجد عنوان يطابقه، وقد صادفنا مذكرة ماستر بعنوان التصوف في الغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (5-7هـ،11-13م).

ونهدف من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى:

-التعرف على أهم المؤلفات الصوفية في الغرب الإسلامي مابين القرن5هـ إلى غاية 9هـ.

-التعرف على أهم علماء الصوفية ودورهم في إثراء الحياة الفكرية في مجتمع الغرب الإسلامي.

- التعرف على أهم المصادر التي استقى منها التأليف الغرب الإسلامي وأهم المبادئ والأسس الفكرية في التأليف.

- كذلك المساهمة في إثراء مكتبة الجامعة بهذا النوع من البحوث الخاص بتاريخ الغرب الإسلامي في هذه الفترة.

- أما فيما يخص الفترة الزمنية من القرن (5-9هـ) فهي تعتبر العصر الذهبي للتصوف وهذا من خلال:

* بروز دور المتصوفة فيها بشكل واضح وارتقائهم في المكانة الاجتماعية.

أما المنهج المتبع في دراستنا لهذا الموضوع يتمثل في المنهج التاريخي التحليلي وذلك من خلال تتبع المعلومات وتحليل الأحداث لإزالة الالتباس والغموض ، حول هذه الدراسة وقد حاولنا تقديم صورة حقيقية حول هؤلاء

المتصوفون وما أحدثوه من تغيرات وتطورات أثارت الإشكالية التالية: **ما مدى انتشار التأليف الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرنين(5-9هـ) و ما هي أهم المؤلفات الصوفية ؟**

واندرجت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الثانوية تمثلت في:

-فما المقصود بالتصوف، وما هي أبرز عوامل انتشاره في بلاد الغرب الإسلامي؟ وفيما تمثلت منابعه؟

- وبانتشار التصوف بالغرب الإسلامي ظهر تيارين للتصوف فمن هم أقطاب كل تيار؟ وما هي مجالات التأليف الصوفي ببلاد الغرب الإسلامي وأهم المصادر التي استقت منها؟ و ما هي أهم المبادئ والأسس التي قام عليها التأليف؟ وما هي أبرز خصائصه؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة البحث التالية:

1-مبحث تمهيدي : تناولنا فيه تعريف التصوف وعوامل انتشاره ومصادره وتطوره

2- أما فيما يخص المبحث الأول: تحت عنوان (عوامل ظهور التصوف ببلاد الغرب الإسلامي) تحت مطلبين:عوامل داخلية وأخرى خارجية.

3- أما المبحث الثاني: بعنوان (تطور التصوف في الغرب الإسلامي) والذي تضمن مطلبين: أقطاب التصوف السني ، وأقطاب التصوف الفلسفي.

4- أما فيما يخص المبحث الثالث والأخير: عنوناه بخصائص ومظاهر التأليف الصوفي، قسّمناه إلى ثلاث مطالب: أولا مجالات التأليف، ثانيا مصدر ومبادئ التأليف، ثالثا خصائص التأليف.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع للإجابة على الإشكالية المطروحة أهمها:

المصادر:

-ابن خلون عبد الرحمان:(ت808هـ) شفاء السائل في تهذيب المسائل، والذي أفادنا في تعريف التصوف من ناحية الاشتقاق ومن الناحية الاصطلاحية، كما أفادنا في إبراز عوامل انتشار التصوف .

-أبو نصر السراج الطوسي:كتاب اللّمع والذي خدم بحثنا من خلال تناوله اشتقاق كلمة تصوف والمراحل التي مر بها.

-ابن الزيات التادلي (617هـ-1220م):التشوف إلى رجال التصوف والذي ترجم في كتابه ما يزيد عن 272صوفيا، الذي كشف لنا واقع الحركة الصوفية في الغرب الإسلامي في فترة القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، كما تحدث عن الناحية الاجتماعية للمتصوفة.

المراجع:

-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ،12-13م(نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي) الذي أفادنا في نشأة التصوف وطرق انتشاره وكذالك تياري التصوف السني والفلسفي.

-التفتزاني أبو الوفاء الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، وهذا أفادنا في دراسة التيارات الصوفية والذي كان من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز دراستنا، وارتأتنا إلى الإشارة لأهم المصادر والمراجع لأن القائمة طويلة ولا يمكن إدراجها كلها.

تقديـــم :

استقر العديد من العلماء على أن ماهية التصوف هو عزوف النفس عن الدنيا وتخليها عن ملاذها، والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، وقد اعتبر فقها للباطن لاهتمامه بالأفعال الخاصة بالقلب والأحكام وتناوله لضروریاته المتعلقة بأفعال القلوب، وما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته.

وقد اختلف الباحثون والدّارسون في تحديد المعنى الذي نسب إليه التّصوف، ولماذا سمي بالتّصوف وحتى نقف على هذا الاختلاف بين أهم الأقوال التي وردت في هذا الموضوع، وخاصّة في القرنين الثّالث والرّابع هجريين على النّحو التّالي.

1-1التّصوف من حيث الاشتقاق:

ليس لهذا الاسم من حيث العربية قياسا ولا اشتقاقا والأظهر فيه أنّه كاللّقب لهذا يقال تصوف إذا لبس الصّوف، وتقمص إذا لبس القميص وقيل أنّه من الصّفاء وقيل أنه مشتق من الصف فكأنهم في الصّف الأول بقلوبهم[1] ، ويرجع الطوسي اشتقاق الكلمة إلى الصّفة لأنّ الصّوفية هم بقية من بقايا أهل الصّفة، كما ينسب الكلمة إلى الصفاء أي الصفاء من كدر البشرية الذين أصفاهم الحق بالصفاء عن صفاتهم، وينسب إلى الصوف فقال التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبس وهم متفاوتون في معانيهم وأحوالهم[2]

[1]- أبو قاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود مع الدكتور محمود بن شريف ، مطابع مؤسسة دار الشعب للنشر القاهرة، سنة 1409ه 1989م، ، ص 464،465.

[2]– السراج الطوسي، كتاب اللمع، حققه كل من عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، سنة 1380ه 1960م، ص 45-48.

، وسئل الهج ويري عن التصوف فقال: أنهم سموا صوفية لأنهم في الصف الأول وسموا كذلك لأنهم يتولون أصحاب الصفة، وقيل أنه مشتق من الصفاء وفيه الكدر كما ينسب إلى الصوف لأنهم يلبسون ثياب الصوف[1].

يعود اشتقاق الكلمة حسب المؤرخ ابن خلدون إلى القوم الذين اختصوا بلبس الصوف في بعض الأوقات تقللا وزهدا، ومشتق من الصفة[2]، وأن أصل هذه الطريقة مأخوذة عن أهل الصفة وهم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل من الصفاء لأنه وضع لهذه الطائفة علما عليهم يتميزون به [3].

وهناك رأي آخر ينسب التصوف إلى صوفه **بن بشر بن أد بن طانجة** تفرغوا للعبادة في جوار مكة منذ القديم، فسموا بالصوفية وهذا الرأي يميل إليه **ابن الجوزي** غير أن هذه المحاولة يعتبرها العديد من العلماء تقليلا من شأن التصوف الإسلامي[4]، ويفند **ابن تيمية** النسبة إلى الصفة هي صفي وليس صوفي فالأول اعتمد في النفي على عدم تطابق النسبة بين صفة وصوفي ، فيقول :{أنه نسبة إلى أهل الصفة وهو خاطئ لأنه لو كان كذالك لقيل صفي} [5] ، ويذكر ابن الزيات أن لفظ الكلمة يعني صوفه قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج ، كما يقال صوفه حي من تميم وهم الصوافان

[1]– عبد الهادي إسعاد، كشف المحجوب للهجويري، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الإسكندرية، ص 227.

[2]– الصفة : هم فقراء المهاجرين الذين سكنوا صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم :أنضر ابو الوفاء الغنيمي،مدخل إلى التصوف الاسلامي،ط03، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،سنة 1399هـ–1979م،ص54.

[3]–ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، طبعة 01، دار الفكر دمشق سوريا،سنة1996م، ص 51.

[4]–عبد الرحمان ابن لجوزي ،تلبيس إبليس ،طبعة 02،دار الكتب العلمية للنشر بيروت، سنة،1368 هـ ،ص163.

[5]–احمد بن تيمية ،مجموع فتاوى ،جمع وترتيب عبد الرحمان محمد بن القسم ،مكتبة المعارف بالتصرف ،جزء 10،ص342.

الذين كانوا يجيزون الحاج من عرفات فيقول أجيزي صوفه فإذا أجازت قال: أجيزي خندقا فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة وفي الإفاضة[1].

حيث تعددت الآراء حول أصل الكلمة حيث يقول **الكلاباذي** أن من بين الاشتقاقات التي قدمت لهذا اللفظ، نجد عوفي {وصوفي على زنة عوفي} أي عافاه الله فعوفي وكوفي[2]، ويرجع اشتقاق الكلمة حسب ما أورده المؤرخين وخاصة المستشرقين إلى {سوفيا} اليونانية والتي تعني الحكمة، ولأصوب أن يقال أن اشتقاق الكلمة من الصوف فيقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف وكان شعارا للزهد.

والأرجح من التعريفات أن اشتقاق الكلمة تعود إلى الصوف نسبة إلى اللباس الذي يلبسونه وقد اتفق عليه اغلب المؤرخين وهو الأقرب[3] ، ويعرفه **المقدسي إبن القيسراني ت سنة507هـ-1113م** بأنهم قوم يقال لهم صوفه انقطعوا إلى الله عز وجل ومن تشبه بهم فهم الصوفية، هؤلاء المعروفون بصوفه هم ولد الغوث بن مر وأخي تميم بن مر [4].

1-2 اصطلاحا :

هو علم من علوم الشريعة الإسلامية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لتزال عند سلف الأمة وكبارها من التابعين، ومن بعدهم طريقة الحق ولهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله عز وجل، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها

---

[1]- أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس لسبتي، تحقيق احمد التوفيق ، طبعة 02 ،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سنة1997م، ص34.

[2]-محمد الكلاباذي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص42.

[3]-أبوا الوفاء الغنيمي التفت زاني، المرجع السابق، ص32.

[4]--المقديسي ابن القيسراني، صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم عدرة، طبعة 01، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، سنة1416هـ-1995م، ص80.

والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في خلوة للعبادة[1] ، ويعرف بأنه مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والنصح للجميع والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا[2].

ويقول **الغزالي:** بأنه عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله و حاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ، وهذا التعريف أتى به الغزالي في مجال حديثه عن النية وضرورة حضور القلب في الأعمال، حيث يقول أن التصوف مرادف لعلم الآخرة وينقسم إلى علم المكاشفة وعلم المعاملة[3]، وانفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب والمقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الظاهرة و الباطنة، وسموا بالمتصوفة ثم تتابعوا جيل بعد جيل وأمة بعد أمة يهتدي الخلف منهم بالسلف... ففقه الباطن هو معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب، وما يخص بالمكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله لضروریاته ویسمى هذا فقه القلوب، وفقه الباطن وفقه الورع وعلم الآخرة والتصوف[4].

1عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء 01، دار الفكر، بيروت لبنان، سنة 2000، ص611.

[2]–علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق منشاوي، دار الفضيلة للنشر القاهرة ،ص54.

[3]– أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الطبعة 01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، سنة1426هـ–2005م، ص1571.

[4]–ابن خلدون، مصدر سابق، ص 43 ،44.

وسئل **الجنيد**[1] (ت سنة 297هـ) عن التصوف فقال بأنه يعني تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية واستعمال ما هو أولى مع الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة[2]، فالتصوف هو الحياة الروحية الذي يخضع فيها الإنسان لألوان مختلفة من مجاهدة النفس، وكشف حجاب الحس، وتصفية القلب، وتنقيته من أدران الشهوة والهوى، وقطع العلائق المادية التي تفسد عليه صلته بربه[3]، وقال **بندار ابن الحسين:** الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه، وعن نفسه برأه[4] ، وسئل الجنيد عن التصوف فقال :تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية، والوفاء لله على الحقيقة وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة وهو نفس التعريف الذي ذكره العديد من المؤرخين واتفقوا عليه[5].

وسئل **لشبلي** لم سميت الصوفية بهذه التسمية ؟ فقال: لبقية بقية عليهم في نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية، وسئل **سمنون** عن التصوف فقال: ألا تملك شيء ولا يملكك شيء. وقال **معروف الكرخي:** التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق. و قال عمر بن عثمان المكي: التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في

---

[1]–ابو قاسم الجنيد بن محمد الخراز كان أبوه يبيع الزجاج لذلك كان يقال له القواريري، أصله من نهاوند من بلاد الجبل ومولده ونشأته بالعراق توفي سنة 297هـ.أنظر :السلمي،الطبقات الصوفية، تحقيق الدكتور احمد الشرباصي،ط02، كتاب الشعب، سنة1419هـ-1998م،ص49.

[2]– مجدي محمد إبراهيم ،التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ،تصدير عاطف العراقي ،طبعة 01،الناشر مكتبة الثقافة الدينية ،شارع بور سعيد القاهرة ،ص288.

[3]– محمد مصطفى حلمي ،الحياة الروحية في الإسلام، دار الكتاب اللبناني – بيروت لبنان– ص09.

[4]– الكلاباذي ، مصدر سابق، ص 18.

[5]– نفسه، ص 19.

الوقت. وقال أبو محمد الجر يري: التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ديني[1]، وذكر **عبد الرحمان ألجامي**، أن الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم وقال التصوف بدايته الفقر. وذكر عن سهل بن عبد الله ألتستري أنه سأله رجل: من أصحب من طوائف الناس؟ فقال عليك بالصوفية فإنهم لا يستكثرون ولا يستنكرون شيء، ولكن فعل عندهم تأويل فهم يعذرونك على كل حال، ونقل العطار أيضا عن **الجنيد** أنه قال :{الصوفي الذي سلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله، وتسليمه تسليم إسماعيل، وحزنه حزن داوود، وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب، وشوقه شوق موسى وقت المناجاة ، وإخلاصه إخلاص محمد[2]، ويتضح من هذه التعريفات أنها شخصية وليدة تجارب ومن ثم تختلف من صوفي لآخر ولذلك تكمن قيمة هذه التعريفات فيها مجتمعة فهي بمثابة الأجزاء التي يتألف منها بناء كلي لمضمون التصوف. وقد تم تصنيف تعريفات التصوف إلى ثلاث مجالات: مجال يربط التصوف بالسلوك أو الأخلاق ومجال يربطه بالنسك وسور العبادات، وينصب الاهتمام في هذا الاهتمام على الجانب العملي المتمثل في الطقوس والشعائر الدينية مع تحقيق جوهرها الروحي الحيوي، والمجال الثالث يربط التصوف بالمعرفة والمشاهدة وهو عناية فائق بالجانب النفسي والعقلي في التصوف.[3]

[1]– منال عبد المنعم جاد الله ، التصوف في مصر والمغرب ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ،ص115–116.

[2]-إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، طبعة 01،الناشر إمارة ترجمان السنة باكستان، ص36-38.

[3]-منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص116.

02- عوامل نشأته

تقديــم :

تختلف الروايات عن تاريخ ظهور التصوف وبداية تجسيده كفكرة أو كعلم قائم بحد ذاته، فنجد أن اغلب المصادر تجمع على أن ظهوره كان قبل أن تكتمل المائة الثانية للهجرة، ومن بينهم القشيري والطوسي إلى غيرهم من المؤرخين. لأن في بداية الأمر كان عبارة عن حركة زهديه اقتصر فيها المسلمون على نمط خاص في حياتهم والتزموا الإقبال على العبادة والإكثار من الأدعية، إقتداء بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.إلا أن هناك عوامل ساهمت بشكل كبير في ظهور التصوف كعلم ثم بعد ذلك مذهب من المذاهب الإسلامية ولعل ابرز عامل، ساهم في ظهور التصوف الفتنة الداخلية التي بدأت مع مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، والصراع بين أنصار علي ومعاوية بن أبي سفيان بالإضافة إلى الحرب الأهلية الدامية الطويلة التي وقعت في عهد الصحابة، والصراع بين مختلف الأحزاب السياسية خاصة في العصر الأموي.

و لا ننسى كذلك انتشار الفرق الدينية من معتزلة ورافضة والخوارج وانتشار علم الكلام، إضافة إلى الثراء الفاحش الذي عاشه المسلمون خاصة بعد الفتح الإسلامي.

2-1 العامل السياسي:

يعد من أبرز العوامل التي ساهمت في نشأة التصوف خاصة في القرنين الأول والثاني هجريين فقد شهد العالم الإسلامي في هذا العصر الكثير من الأحداث السياسية والمتمثلة في:

الفتنة الكبرى سنة 36هـ التي بدأت مع مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه والصراع من اجل السلطة، وقيام الحروب الأهلية داخل بيت المسلمين بين أنصار علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان مما أدى، إلى ظهور ما يسمى بالخوارج ومن هنا ستظهر المذاهب هذا ما أدى إلى ظهور فرقة محايدة ابتعدت عن الفتنة، ولجأت إلى حياة الخلوة والعزلة للتعبد[1]، انقسام أمة الإسلام إلى فرق دينية وأحزاب سياسية خاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه، حيث اشتد الصراع بين الفرق السياسية وانقسمت فيما بينها، وخرجت متأولة بعيدة عن منهج والتزام أهل السنة[2]، ومن بين الأسباب الجوهرية للفتنة حسب مذكره المؤرخين يتمثل في معارضة بعض الصحابة لسياسة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن أبرزها سياسة الإقصاء التي اتبعها اتجاههم باعتماده كليا على بني أمية، هذه المعارضة ستخلق ثورة في بيت المسلمين ومعارضة سياسية للخلافة وتقع الحرب بين علي ومعاوية، ثم تأتي موقعة الجمل الصفين[3]، سنة 36هـ وانقسام جيش علي، بعد هذه الحرب يأتي الفريقان إلى مراجعات ومكاتبات يطول ذكرها على التحكيم[4]، سنة 37هـ.[1]

---

[1]-منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص122.

[2]-صابر طعيمة، دراسات في الفرق{الشيعية النصيرية الباطنية الصوفية الخوارج} مكتبة المعارف الرياض،1403هـ 1983م، ص103،105.

[3]-موقعة صفين :هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في شهر صفر سنة 37 هـ بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا.انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، الجزء03، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ص101-ص115.

[4]-التحكيم : روهوان يحكم كل واحد من الأميرين-علي ومعاوية- رجلا من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين. انظر:ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء03، ص205-ص210.

، الحرب الأهلية الطويلة الدامية التي وقعت في عهد الصحابة وبني أمية والتطرف العنيف في الأحزاب السياسية، وازدياد التراخي في المسائل الخلقية إضافة إلى ذالك سياسة الحكام التي قامت على التعسف والاستبداد ، ورفض هؤلاء الحكام كل فكرة تتصل بالخلافة الدينية[2].

الصراع والتنازع الدموي الذي كان في العهد الأموي بسبب العصبية القبلية التي كان لها الأثر في الاختلاف بين الأمويين والهاشميين، ثم فيما بعد ظهور الخوارج والاختلاف فيما بينهم واحتدام الصراع بين الأنصار والمهاجرين حول الخلافة، ومن يتولى حكم الخلافة الإسلامية[3]، هذا النزاع الذي نشأ بين المسلمين سيحدث من بعد ذالك ثورات وتصارع بين الأحزاب السياسية هذا الصراع، سينتج عنه ظهور العديد من الفرق السياسية وتتعدد المذاهب مما ينتج عنه تنازع دائم نشوب صراع بين هذه الطوائف والأحزاب، نظرا للاختلاف العقدي الذي سيبرز فيما بعد بين المسلمين[4].

وقد حدثت في المائة الأولى من عهد الإسلام حوادث سياسية خطيرة مثل الحروب الأهلية الدامية الطويلة التي وقعت بين علي ومعاوية، والفتن والقلاقل في عهد عثمان من قبل ، ولاضطرابات بين بني أمية والبيت العلوي بعد ذالك، وتبع كل هذا اضطهاد لآل البيت وتشريد وتقتيل وكبت للحرية الشخصية لم يسبق له مثيل، وظهرت الآراء السياسية في النظريات الدينية وأصبحت جزء من عقائد المسلمين كل ذلك ادخل الرعب في قلوب

---

[1]–لطيفة بكاي ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، ط01، دار الطبع بيروت لبنان، سنة 2001، ص18–24.

[2]–محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5هـ، جامعة القاهرة ، الناشر دار النهضة العربية، شارع عبد الخالق ثروت، ص17،18.

[3]–محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، جواد حسني بالقاهرة، ص13–15.

[4]–نفسه، ص18،19.

المسلمين وقضى على الشعور بالأمان، وحرك في الناس الميل إلى العزلة والفرار من الحياة طلبا للسلامة وراحة الضمير[1].

2-2 العامل الديني:

تمثل العامل الديني في ظهور آفة البدع في المعتقدات وتداعي العبادة والزهد من معتزلي ورافضي وخارجي، لا ينفعه إصلاح أعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد الذي هو رأس الأمر، لذا انفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب والذين سموا بالمتصوفة[2]، انتشار الفرق الدينية كالمعتزلة والرافضة والخوارج والاختلاف فيما بينهم فأصبحت كل فرقة من هذه الفرق، تدعي بأن فيها زهادا ونساكا فتنافسوا في منظومتهم الزهدية ونظرا للاختلاف العقدي بينهم، سيتولد صراع بين هذه التيارات الفكرية والدينية فيما بعد حيث كل فرقة تتمسك بعقائدها[3].

ظهور علم الكلام عن طريق الترجمة للكتب الفلسفية، حيث غزا الفكر الإسلامي كثير من المنازع الفلسفية، والمذاهب القديمة كالفارسية والهندية والأفلاطونية المحدثة التي بدورها طرحت حول هذا المذهب ، أفكار مختلفة فكان لها تأثير في التفكير الديني والابتعاد عن الشرع[4]، بالإضافة إلى نزعة الزهد التي سادت القرن الأول هجري، في المجتمع الإسلامي نتيجة عاملين هما : المبالغة في الشعور والخوف الشديد من العقاب في الآخرة ، وهذان العاملان يطلق عليهم تسمية الحياة الروحية وتعتبر عامل ديني هام لنشأة

[1]-أبو العلا لعفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت، ص68-69.
[2]-ابن خلدون، شفاء السائل، مصدر سابق، ص42،43.
[3]-الطاهر بونابي، مرجع سابق ،ص52،53.
[4]-محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص19،20.

التصوف[1]، في حين يذكر ابن خلدون بأن التصوف جاء نتيجة خروج الإسلام من حدود البيئة الصحراوية التي نشأ فيه، وامتزاج تعاليمه بتعاليم وأديان الأمم التي كانت على حظ كبير من الفلسفة وعلم الكلام والحياة الروحية العميقة، فالتصوف في حقيقته وليد تاريخ الإسلام الديني والسياسي والعقلي والاجتماعي وليس وليد الإسلام وحده[2]، ويرجع نشوء هذا المذهب إلى ظهور تطورات تاريخية حدثت في حياة المسلمين، أدت إلى الانتقال من الزهد إلى التصوف وهذا نتيجة لظروف عاشها المجتمع الإسلامي، تميز بظهور البدع وكثرة المعتقدات وانتشار الفرق الدينية كالخوارج والشيعة مما جعل العلماء والفقهاء يهتمون بالفتوى وتطوير فقه الظاهر، والعناية به والزهد في الدنيا والعمل للآخرة[3].

الاختلاف حول بعض الأمور التي تتصل بالعقيدة وفي الفروع أدى إلى خلق صراع بين مختلف التيارات الدينية والفكرية،حيث انتهجت كل فرقة معتقد تسير وفقه هذا الصراع أدى بهم إلى الخروج عن الفهم الصحيح لأصول الشرع، مما أدى ببعض المتصوفة إلى الابتعاد عن هذا الصراع والبحث عن العزلة والخلوة للتعبد، كما أدى هذا الانقسام والصراع إلى توجه الصوفيين إلى تدوين علمهم واعتباره علما قائما بحد ذاته، لتمييزه عن باقي الفرق والطوائف الدينية الأخرى[4]، ظهور علم الكلام لأن الكثير من المسائل الصوفية الفلسفية متصل بمسائل علم الكلام، أو هي ظاهرة في ثوب صوفي، والناظر في كتب التصوف يجد في أقوال الصوفية مدى استغلالهم لعلم الكلام ومزجهم لنظريات المتكلمين، وقد تسرب إلى التصوف الكثير من نظريات الأشاعرة وال كرامية والشيعة والباطنية.[5]

---

[1]-عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص121.

[2]-ابن خلدون، شفاء السائل، ص76،77.

[3]-الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص37،38.

[4]-محمد أبو زهرة، مرجع سابق ، ص17-20.

[5]-أبو العلا العفيفي، مرجع سابق، ص73،74.

3-2 العامل الاقتصادي والاجتماعي:

الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة وازدياد الثروة لدى المسلمين واهتمامهم بالكسب والامتلاك، وتخليهم عن أعمال القلوب والانحراف عن مبدأ هام من مبادئ الشرع الإسلامي وهي حياة البساطة التي ميزت حياة السلف الصالح، لهذا اتخذت فئة من الناس الاقتداء بالسلف الصالح ظاهرا وباطنا ينفردون عن أهل الدنيا، حيث تطور التصوف في هذه المرحلة إلى علم ونظام شديد في العبادة وصار اتجاها نفسيا وعقليا ويعد بوجه عام فلسفة حياة[1]، ويرجع ابن خلدون أن المسلمين بعد الفتح الإسلامي تحصلوا على الكثير من الغنائم في الحروب مما ساهم في ظهور حياة الترف في المجتمع الإسلامي، والانغماس في الشهوات والملذات وهذا في العهد الأموي وحتى العصر العباسي، هذا ما جعل بعض الفقهاء يلجئون إلى التعبد والعمل للآخرة والنصح لباقي المسلمين على الزهد في الدنيا[2].

سوء توزيع الثروة بين المسلمين بعد الفتح الإسلامي وهذا في العصر العباسي أين تميزت سياسة الحكام بالظلم، مما أدى إلى فقر الأغلبية وغناء الأقلية وانغماسها في الملذات والتبذير وتهور طائفة بظلم فادح، نتج عنه تفاوت طبقي والتمييز بين المسلمين كل هذا كان سببا في ابتعاد طائفة من الناس التزموا الخلوة، وتخلو عن الدنيا وملاذها[3].

كما كان للعامل الاجتماعي دورا مهما في نشأة علم التصوف من خلال محاربة الارستقراطية بإشاعة المظهر ألزهدي في الإسلام، وعامل نفسي استشفه المسلمون من رسالة الإسلام ومما ورد ذكره في القرآن الكريم عن عذاب الآخرة، بالإضافة إلى التفاوت

---

[1]-الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص38.

[2]-ابن خلدون، شفاء السائل، مصدر سابق، ص622-624.

[3]-عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق ، ص123،124.

الطبقي في المجتمع الإسلامي خاصة بعد الفتح الإسلامي وانتشار الثراء، عند المسلمين فبرز بعض الزهاد لتوعية المسلمين بمبادئ الإسلام الأولى[1].

03- مصادره وتطوره

تقديـم:

بإمكاننا القول أن معظم الحركات في الحضارة العربية الإسلامية تعود إلى امتزاج العديد من العناصر سواء كانت أصلية أو دخيلة، ومن أبرز هذه الحركات نجد حركة التصوف الإسلامي والتي أثارت جدلا كبيرا حول مصدرها، فمنهم من قال أن مصدر التصوف إسلامي مؤسس على الكتاب والسنة وبعض المؤرخين يقولون أن التصوف استقى من مصادر عديدة، كالمصدر النصراني المسيحي والمصدر الهندي والمصدر اليوناني، وقد تطور التصوف كظاهرة اجتماعية ودينية لعدة عوامل تركته يتطور كازدهار حركة الترجمة، واتصال الصوفية بأهل الديانات الأخرى وامتزاج الثقافات المختلفة خاصة بعد الفتح الإسلامي.

3-1/المصدر الإسلامي:

من الطبيعي أن يكون مصدر التصوف إسلامي إذ انه استمد ركائزه من كتاب الله وسنة رسوله، وكذلك من صفات الصحابة الكرام وأقوالهم التي لم تخرج عن كتاب الله وسنة نبيه حيث إن الصوفية يتصورون طريق للسلوك إلى الله، يبدأ بجاهدة النفس أخلاقيا

[1]-محمد بركات البيلي، مرجع سابق، ص22،23.

ويتدرج السالك له في مراحل متعددة تعرف عندهم:بالمقامات [1]، وينتهي من مقاماته وأحواله[2]، إلى معرفة الله[3].

القرآن الكريم مصدر التصوف باعتبار أن المقامات والأحوال هي موضوع التصوف والدليل على ذالك هناك بعض الآيات القرآنية التي استند إليها المتصوفون في أحوالهم ومقاماتهم، التقوى استندوا إلى قوله تعالى﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾[4]، أما بالنسبة للأحوال فاستندوا إلى قوله تعالى﴿وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن﴾[5]، وقال **الشعراني** توفي سنة 328هـ (أن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر) لهذا فإن التصوف لب الشريعة الإسلامية لكثرة محاسبة الصوفية أنفسهم ، وأخذهم بالعزائم فإن حقيقة القوم علم وعمل لحمتها شريعة وحقيقة[6].

كما يؤكد الباحث **لويس ماسي نون** بأن التصوف الإسلامي في أصله وتطوره صدر عن مداومة تلاوة القرآن والتأمل فيه وممارسته، وقد قام على أساس التلاوة المستمرة والقراءة الشاملة لهذا النص المعتبر مقدسا ومنه استمد خصائصه المميزة، التلاوة المشتركة وبصوت مرتفع{الذكر} رفع الصوت وإقامة مجالس الذكر المنتظمة التي فيها تتلى آيات

---

[1]-المقام:اخذ لفظ المقام من الآيات القرآنية حيث ورد بمعنى الموضوع والمنزلة فأشاروا به إلى المواضع والمنازل، التي يتلبث عندها السالك في رحلة عروجه إلى باب الحضرة الإلهية.أنضر{يوسف محمد طه زيدان، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، ط01، دار الجيل بيروت،1411هـ-1991م، ص75،76.

[2]- الأحوال:هي ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار ومن أمثلة الأحوال عندهم، المراقبة القرب الخوف الرجاء.انظر{أبوا الوفاء الغنيمي، مرجع سابق، ص39.

[3]- نفسه، ص38.

[4]- سورة الحجرات الآية 13.

[5]- سورة فاطر الآية 34.

[6]-عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ط16، دار العرفان سوريا حلب،سنة 1427هـ -2007م ، ص389-391.

من القرآن وموضوعات للتأمل[1]، ويذكر **السراج** توفي سنة378هـ بأن أصل التصوف وجميع ما تكلم فيه الصوفية أربع أحاديث، حديث جبريل عليه السلام حيث سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإحسان فقال:{الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه} وحديث **عبد الله بن العباس** أنه قال:أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وقال لي:{يا غلام احفظ الله يحفظك} وحديث آخر{لا ضرر ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام} [2]، والسهر وردي توفي سنة632هـ في كتابه "عوارف المعارف" يؤكد هذا المعنى في كل موضع، فيقول بأن الصوفية هم أوفر الناس حظا في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بإحياء سنته[3]، لأن الصوفية يهدفون إلى تزكية النفس بالأخلاق الكريمة والله تعالى قال في حق نبيه :{وإنك لعلى خلق عظيم} [4]، فمن الطبيعي أن يتخذ الصوفية النبي قدوة في تحصيل الأخلاق الحسنة، وهذا ما قال بعضهم في معنى التصوف{التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق} ويفصل السهر وردي هذا ببيان أن ما دعا إليه الصوفية من أخلاق هو ما تخلق به النبي في سلوكه ودعا إليه في أحاديثه[5].

3-2 المصدر المسيحي والنصراني:

يظهر جليا من خلال الألفاظ النصرانية التي استخدمها بعض قدامى الصوفية، كلفظي {الناسوت واللاهوت} فإن القول بحلول اللاهوت أي الخصائص الإلهية في الناسوت أي في الطبيعة البشرية، ادعته النصارى في المسيح عليه السلام ، كما أن

---

[1]– لويس ماسي نون، بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الإسلامي، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، عبد الحميد يونس–حسن عثمان، ط01، باريس سنة 1922، ص104،105.

[2]– السراج، مصدر سابق، ص104.

[3]- شهاب الدين أبي حفص السهر وردي،عوارف المعارف ،تحقيق كل من الدكتور عبد الحليم محمود-والدكتور محمود بن الشريف،الناشر دار المعارف-شارع كورنيش النيل القاهرة،ص229.

[4]- سورة القلم ،الآية04.

[5]- السهر وردي، مصدر سابق، ص232.

القول بالكلمة عند النصارى والتي هي واسطة بين الله والخلق، نجد بعض الصوفية قد اصطنع هذا المفهوم في التعبير عن ما يسمى عندهم بالحقيقة المحمدية، التي يعنون بها أول مخلوق خلقه الله أو أنه أول تعيين للذات الإلهية ومنه تعيين سائر المخلوقات.[1]

فالتصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية والمجوسية والمزدكية ، والدليل على ذالك تشبه بعض الصوفية بقصة الراهب بوذا في ترك الزوج والولد ، خلافا لأوامر القرآن وإرشادات الرسول صلى الله عليه وسلم وتركهم للدنيا وزينتها والتزين بزي الدراويش، حيث تجد لديهم قول مشهور دلالة على تأثرهم بالمسيحية{أحب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بالتزوج}[2]، لأن الأفكار الأول للتصوف على وفاق مع الفكرة المسيحية ومنها استمدت قوتها، فكثير من نصوص الإنجيل والأقوال المنسوبة للمسيح مقتبس في أقدم تراجم الصوفية، والراجح أن ثوب التصوف الذي منه جاء الصوفي مسيحي الأصل.[3]

3-3المصدر الهنـدي:

في هذا يرجع بعض المؤرخين وخاصة المستشرقين أن التصوف الإسلامي تأثر بالأفكار الهندية وأن التصوف بداية من القرن الثالث هجري كان مشبعا بالأفكار الهندية والدليل على ذلك أن الزهد الإسلامي الأول هندي، في نزعته وأساليبه فالرضا فكرة هندية الأصل واستعمال المخلات والسبح عادات هندية، لكن هذا التشابه مبالغ فيه وسطحي أكثر من أن يكون جوهري[4].

---

[1]- صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، مكتبة دار الرشد بالرياض، سنة1415 هـ-1994م، ص61،62.

[2]-إحسان إلهي ظهير ، مرجع سابق، ص54-59.

[3]-أبو الوفاء الغنيمي ، مرجع سابق، ص38.

[4]-أبوا الوفاء الغنيمي، مرجع سابق ، ص40،41.

3-4المصدر اليوناني:

يعنون به التصوف الفلسفي الإلهي الذي بدأ مع بداية القرن الثالث هجري على يد {ذي النون المصري} ، فمصدر الكلام في الإلهيات الذي نشأ في التصوف، كان في الأفلاطونية المحدثة، حيث وصلت الفلسفة اليونانية عامة والأفلاطونية المحدثة خاصة ، إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل ونجد هذا من خلال نظرية أفلوطين السكندري في الفيض[1] .

تطـــوره:

لقد مر التصوف بعدة مراحل وباعتباره مذهب من المذاهب التي برزت في المجتمع الإسلامي تأثر بالعديد من العوامل، جعلته يتطور كظاهرة اجتماعية ودينية فحسب المؤرخين مر التصوف بثلاث مراحل،حيث ظهر في بدايته كحركة زهدية تقوم على العبادة والعمل من أجل الآخرة، حيث يقول ابن الجوزي أن في هذه المرحلة ظهرت الصوفية كممارسات عملية حيث قال: {والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد} وبروز هذه النزعة تعود إلى تشديد التعليم الإسلامي، والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم أي العزوف عن الدنيا والعمل للآخرة[2].

ثم تأتي المرحلة الثانية أي مع بداية القرن الثاني هجري تطور التصوف حيث أصبح علما كسائر العلوم الأخرى، قام الصوفية بتدوينه وتدارسه للتفريق بينه وبين الفرق الدينية

[1]- أبو الوفاء الغنيمي، مرجع سابق، ص41-43.

[2]-ابن الجوزي، مصدر سابق، ص156.

الأخرى التي ظهرت في هذا القرن، حيث أصبح لديهم اسم يتميزون به فسموا بالصوفية[1].

ثم تأتي مرحلة أخرى أي في القرن الثالث هجري، فنجد الصوفية قد عنوا بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم وهذا بسبب تأثرهم بالفلسفة وعلم الكلام، الذي انتشر في العالم الإسلامي بعد الفتوحات، حيث تعمقوا في دراسة النفس الإنسانية، وإلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها، وظهر الكلام في الفناء[2]، وهذا راجع لتأثره بعناصر أجنبية عن الإسلام[3].

ويرجع تطور التصوف إلى العديد من العوامل تركته يتطور تكلمت عنها بعض الكتب نذكر منها: في العصر العباسي يبدأ فصل جديد في التاريخ الإسلامي، حيث بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في التطور في مختلف المجالات، فقد تطورت العلوم كالفقه والفلسفة وعلم الكلام بفضل الترجمة هذا ما جعل التصوف يستفيد من تلك العلوم، حيث امتزجت عقائده بعلم الكلام والفلسفة، وأصبح للمجادلات الكلامية تأثير عام في الفكر الديني، مما مكن المسلمين من الإطلاع على الفلسفة اليونانية التي أثرت بدورها في الفكر الصوفي[4].

---

[1]–يوسف فرحات ،الفلسفة الإسلامية وأعلامها، طبعة01، دار النشر جنين شركة ترادكسيم، سنة 1986م، ص46،47.

[2]–الفناء:نعني به سقوط الأوصاف المذمومة وذالك بكثرة الرياضة وعدم الإحساس بعالم الملك أو الملكوت، والاستغراق في عظمة الخالق ومشاهدة الحق.أنظر:الجرجاني، معجم التعريفات ، ص142.

[3]–أبو الوفاء الغنيمي ، مرجع سابق، ص17،18.

[4]–آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد مع، الدكتور رضا حامد قطب، ط01، منشورات الجمل كولونيا{ألمانيا}–بغداد، سنة2006م، ص40،41.

اتصال الصوفية بأهل الديانات الأخرى في القرن الثاني للهجرة واختلاط المسلمين بمجموعة من الشعوب والأجناس، كالفرس الهنود الروم إضافة إلى ذالك ازدهار حركة الترجمة بتأسيس بيت الحكمة في عهد المأمون، وانتقال الفكر اليوناني والهندي الذي أثر على الفكر الإسلامي في هذا العصر[1]، اتساع دائرة العلوم وظهور التدوين فقام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يجيده، مما دعا أرباب الرياضة والزهد أن يعملوا هم من ناحيتهم على تدوين علم التصوف وإثبات شرفه وفضله على سائر العلوم، حيث برز العديد من الأعلام الذين قاموا بدورهم بتدوين مؤلفات تهتم بهذا العلم، من بينهم الطوسي والقشيري أفردوا كتبا عديدة اهتمت بالتصوف وشرح ألفاظ الصوفية[2].

انتشار المدارس الفلسفية والدينية في معظم أرجاء الإمبراطورية الإسلامية مما ساعد كل هذا على تلقيح التصوف الإسلامي، بملامح خارجية أبعدته عن الصواب وجعلته فكرا منحرفا متأثرا بأفكار أجنبية، وامتزجت بثقافات مختلفة خاصة الفلسفة اليونانية أي الأفلاطونية المحدثة وسربت إلى التصوف بعض التعليمات البعيدة عن الشرع، فالفلسفة كانت منتشرة في الشرق منذ فتوح لإسكندر وكانت لها مدرسة في حران[3].

ومما سبق نستنتج أن التصوف اختلف في تسميته وأصوله بحيث تعددت تعريفاته وهذا راجع إلى اختلاف المؤرخين حول تسميته وقد ساهمت العديد من العوامل، كما سبق وذكرنا في نشأته كالفتنة وظهور الفرق الكلامية والثراء الفاحش الذي، شهدته الخلافة الإسلامية بعد الفتح الإسلامي وظهور حياة الترف والبذخ. وتعددت مصادر التصوف فبعض المؤرخين يذكر بأن مصدره إسلامي من الكتاب والسنة ،في حين يرى البعض الآخر أن التصوف مصدره دخيل على الإسلام كالمسيحية والمصدر الهندي واليوناني.

---

[1]-احمد أمين،ظهر الإسلام، الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة، ص849،850.

[2]- أبو نصر الطوسي، مصدر سابق، ص39.

[3]- أحمد أمين، نفسه، ص850،851.

ومن أبرز عوامل تطوره الاختلاط بين المسلمين والأجناس الأخرى بعد الفتح الإسلامي، وازدهار حركة الترجمة وانتقال الفكر الأجنبي للإسلام.

1-العوامل الخارجية:

أ-الحج :

يعد الحج من الدوافع الأساسية و الهامة في نشأة التصوف بالغرب الإسلامي من خلال التلاقح الفكري بين قطري العالم الإسلامي في الشرق والغرب، فقد كان وراء رحيل كثير من المغاربة إلى المشرق و ذلك بغرض أداء الركن الخامس من الإسلام ، إضافة إلى زيارة المقدسات في مكة و المدينة و القدس بل يمكن القول أن الرحلة بالغرب الإسلامي في العهود الأولى لم تكن تتحرك إلا في الجانب الديني .

هذا أن مدن المشرق الإسلامي من مكة و المدينة و البصرة و الكوفة و كل الحواضر التي كانت بمثابة منارة علم و منبت العلماء و المشايخة، الشيء الذي دفع طلبة العلم بالغرب الإسلامي إلى التوجه إلى هذه الحواضر بعد أدائهم مناسك الحج ، وهذا ما أكده ابن خلدون حين قال عن المغاربة " إن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم [1]، وقد تطورت حواضر المشرقية نتيجة لجهود العلماء المسلمين فيها، و كتب تراجم العلماء تبين بوضوح اثر هؤلاء العلماء وتؤكد على النشاط العلمي والديني الذي تزايد مع مرور الوقت من خلال حلقات التدريس في أروقة الحرمين الشريفين أو من خلال بعض المدارس العلمية التي أقامها الأمراء والسلاطين بمكة المكرمة و المدينة المنورة، وأوقفوا عليها الأوقاف والمخصصات المالية وعينوا العلماء للتدريس فيها و أنفقوا بسخاء على طلاب العلم لمساعدتهم للتفرغ لطلب العلم مما أثمر تعاونا فكريا و علميا بين علماء الأمصار الإسلامية ، ومن العلماء المغاربة الين وفدو إلى الحرمين الشريفين وقاموا بالتدريس فيهما وفي غيرهما من البلاد الإسلامية أثناء

[1] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 805.

توجههم لأداء مناسك الحج[1]. وفي طريق عودتهم إلى بلادهم المغاربية الشيخ شرف الدين محمد بن عبد المرسي (ت 655 هـ) درس بالأندلس ومصر والشام والحجاز والعراق و إيران وما وراء النهر وجاور مكة، حضيت دروسه بإقبال عظيم وصنف مؤلفات جليلة، ومنهم الشيخ محمد بن حجاج الاشبيلي الذي قام برحلة إلى بلاد المشرق فمر بالإسكندرية ومكة وعدن حتى وفاته وعرف بالصلاح، وتميز في علوم اللغة العربية.[2] كذلك حج أحمد بن يحي الواديشي وفي طريقه اجتمع بالسخاوي المؤرخ الشهير وقرأ عليه أجزاء من الصحاح الستة والموطأ والمسند للإمام الشافعي وأجازه السخاوي وعاد إلى بلده بعد أن حصل جانبا من العلم [3] .

وهكذا يتضح لنا من خلال عرض بعض أعلام الشرق و الغرب الإسلاميين القاصدين المدينتين المقدستين مكة و المدينة المنورة أنهم لم يقصدوها لأداء مناسك الحج فحسب، بل ليضيفوا إلى ذلك التزود بزاد العلم و المعرفة من خلال لقاءات مشايخة التصوف و شتى فروع العلم الأخرى فنقلوا عنهم أفكارهم التي تدعوا إلى الزهد وهذا ما أدى إلى انتشار الأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية، و إلى هذه الغاية العظيمة التي يسعى إليها العلماء كان من أعظم ما يهتم به العالم إذا حج هو الاجتماع بالعلماء و الاستفادة منهم و إفادتهم، و لقد كان بعض العلماء يحج و من أعظم البواعث له على الحج طلب العلم و الاجتماع بالعلماء.

أمّا في حديثنا عن التصوف، فقد زخرت كتب المناقب و التراجم و كتب الرحلة بأسماء الزهاد و الصوفية و مناقبهم سواء اللذين شدوا الرحال إلى المشرق الإسلامي،

---

[1] – خالد عبد المحسن، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث، الرياض، سنة 1426 هـ، ص368.

[2] – أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، جزء 2، ط2، تحقيق إحسان عباس، دار صادر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، سنة 1997م، ص 264.

[3] – نفسه، ص 265.

أم الذين بقوا في الغرب الإسلامي متوخين كشف الحقائق و الإجابة عن تساؤلات حول أمور التصوف، باحثين عن السند و عن شيخ يوجههم في مسيرتهم الروحية، ليأخذوا عنه أصول الطريقة، و يشبعوا رغبتهم في حب الله تبارك و تعالى، و غالبا ما تكون سياحتهم هذه طويلة قد تدوم سنوات، كما هو الشأن بالنسبة لأبي مدين الغوث و أبي الحسن الشاذلي ، و قد تكون الرحلة بهدف الالتقاء بالصلحاء من أجل التبرك بلقائهم و الفوز بدعواتهم الصالحة، و قد كان ابن بطوطة يقطع المسافات و المراحل للتبرك بولي سمع عنه أو متعبد منقطع في زاويته أو خلوته[1].

وبالرغم من وجود متصوفة وزهاد كثر كان لهم دور بارز وتركوا بصمات فكرية و معرفية من خلال تفعيل التواصل بين المشرق والغرب الإسلاميين، ومن أمثلة هؤلاء محي الدين بن عربي (ت1240م)، فهو صاحب فكرة وحدة الوجود التي اعتبرت من المفاهيم الجديدة و الغريبة على المجتمع الشامي، من حيث تأثير أفكاره و إنتاجه[2]، و منهم أيضا الذي ساهم برحلاته في التواصل المعرفي و الروحي و كان له دور في نقل أفكار التصوف إلى الغرب الإسلامي الشيخ أحمد زروق الذي نشأ في مدينة فاس، و صار يتردد على شيوخ العلم و التصوف، و استوطن المشرق و تحدثت عنه المصادر أنه رجل يعشق السياحة الروحية حيث يقول عنه صاحب " فهرس الفهارس " الإمام المحدث العارف الرحال الصوفي[3]، و منهم أيضا أبو الحسن علي ابن ميمون الغماري (ت 917 هـ) أحد أقطاب المغرب في العلم و التصوف، ولد بغمارة و نشأ بها و تولى قضاء مدينة شفشاون، عزم على الرحيل إلى المشرق وهناك لقي كثيرا من شيوخه في العلم والتصوف واستوطن المشرق كما برز ذكره في التصوف.

---

[1] – ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في عجائب الأمصار)، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1985م، ص 55 – 57.

[2] – ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفي، جزء 1، بيروت، سنة 1946م، ص 25.

[3] – عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلات، ج1، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1402هـ – 1982م ، ص 198.

ب- دور الرحلة في طلب العلم :

إن ديننا الحنيف حث في أول آية نزلت على رسولنا الكريم محمد صل الله عليه و سلم على طلب العلم والحرص على التعلم، قال تعالى في سورة العلق: " اقرأ بسم ربك الذي خلق " العلق الآية[1]، فدين الإسلام دعا إلى ضرورة التعلم والقراءة التي هي أساسا التطور واكتساب العلوم والمعارف بشتى أنواعها، ومن بين الطرق التي تحصل العلم الرحلة التي اعتبرت منذ قديم الزمان وسيلة للنبوغ والتميز في مختلف العلوم من خلال ارتحال الطلبة إلى مختلف البلدان والالتقاء بكبار العلماء والمشايخة.

وعلى الرغم من كبر مساحة الدولة الإسلامية وامتدادها شرقا وغربا إلى أن المسافات الطويلة لم تمنع طلاب العلم من بلاد الغرب الإسلامي من قصد بلاد الحجاز وزيارتها من أجل طلب العلم وأداء فريضة الحج، وعليه فان القارئ لأية رحلة حجازية علمية و خاصة الفهرسية منها يتأكد من طواف الرحالة المغاربة على مراكز العلم بالمشرق لملاقاة كبار العلماء والأدباء والمشايخ طلبا لأعالي العلوم والمعارف، منطلقين من المقولة التي كانت سائدة والتي تؤكد على ايجابيات أخذ العلوم من أفواه الرجال وتجنب الاكتفاء بمطالعة الكتب والمؤلفات، ويؤكد على هذا ابن خلدون في قوله " أن الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد ولقاء المشيخة تزيد كمالا في التعليم فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، والفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

ولقد بدأت الأندلس تتصل بالمشرق وبدأت علوم وآداب المشرق تحمل إلى المغرب عن طريق وفد من المشرق إلى الأندلس يضم مجموعة من العلماء والمفكرين والزهاد اللذين نشروا أفكارهم الصوفية أواسط مجتمع الغرب الإسلامي، وعن طريق رحلات طلب العلم التي يقوم بها عدد كبير من طلبة الغرب الإسلامي إلى مراكز الإشعاع

[1] – سورة العلق، الآية 1.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 464.

العلمي في مصر والحجاز والشام والعراق، وتظم كتب الطبقات والتراجم أسماء العديد من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم ورغبة في الاتصال بعلماء المنطقة.

ولعل ارتحال المغاربة لطلب العلوم والمعارف بالمشرق كان له دوافع وأسباب جعلت المشرق قبلة هؤلاء الراغبين في تحصيل العلوم والمعارف، ولعل من بين هذه الدوافع نجد الشوق والحنين إلى المشرق العربي مركز القبيلة الأم[1]، ونذكر من بين الرحالة ابن مسرة، الذي رحل إلى القيروان ثم حج إلى مكة أين التقى أبا سعيد ابن العربي، الذي أخذ عنه رواية الحديث على مذهب أهل السنة ستارا عمل عن طريقه على تعليم وشرح دقاق آراء الصوفية، وتأثر به ابن مسرة وبعد عودته إلى قرطبة اتخذ مكانا في الجبل يلتقي فيه بأتباعه ويشرح لهم تعاليمه سرا[2]، كما رحل أحمد بن غانم القرطبي يعرف بالمديني إلى الحج مرافقا ابن مسرة سنة (311 هـ)، وقد كان فقيها ورعا ناسكا[3]، بالإضافة إلى عبد الرحمان بن مروان بن عبد الله الأنصاري (ت 413 هـ – 1022 م) الذي ارتحل إلى الحج و رجع إلى قرطبة بسنة (371 هـ – 981 م) ليقبل فيما بعد على الزهد وقراءة القران والعمل على تعليمه[4]، إلى جانب أبي مدين شعيب[5])، الذي تلقى العلم من علماء المشرق أثناء تواجده هناك وقد التقى كبار

[1] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 464.

[2] – بالنثيا انخل جونثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، سنة 1945م، ص 227 – 228.

[3] – أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ، ص 352.

[4] – ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد الخيالي، الجزء01، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة2002، ص149.

[5] – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج01، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية بيروت، سنة 1983م، ص 431.

الأولياء والزهاد كالشيخ عبد القادر الجيلالي (ت 560 هـ – 1164 م) [1]، الذي التقى به في عرفة فتخرج من مدرسته ألف شيخ، بالإضافة إلى مجموعة ممن شدوا الرجال إلى المشرق نذكر منهم: يحي بن يحي يكنى بأبي عيسى، عاد إلى الأندلس بعلم كثير خاصة التصوف بالإضافة إلى محمد بن وضاح كنيته أبو عبد الله القرطبي، رحل إلى المشرق رحلتين، وعلي بن عبد الله بن ثابت بن محمد الأنصاري الغرناطي، رحل إلى المشرق حاجا وسمع هناك ثم رجع إلى الأندلس وقد كان من كبار المقرئين.

والجدير بالذكر أنه إلى جانب ارتحال طلبة العلم بالغرب الإسلامي وتوجههم نحو المشرق الإسلامي، فقد عرفت موجة معاكسة من الارتحال المشرقي نحو الغرب الإسلامي، وقد كان هدف الأندلسيين والمغاربة في رحلتهم إما الحج أو طلب العلم بينما يهدف المشارقة إلى طلب المال والجاه فانتشرت العلوم والآداب بالغرب الإسلامي، كما تم نقل كتب ومؤلفات هامة من تصوف وفقه وعلوم أخرى، ونذكر من المتصوفين الذين شكلوا نموذجا حيا للتواصل الفكري والروحي ولوحدة التطلعات بين الغرب والشرق الإسلاميين أبو الحسن الشاذلي[2]، الذي ولد بمدينة سبتة وغادرها باحثا عن شيوخ التصوف فرحل إلى مدينة فاس ومنها توجه إلى افريقية قاصدا زويلة ثم غادرها متوجها نحو تونس، بعدها قرر السفر إلى بغداد التي كانت محط أنظار طلاب العلم واجتمع فيها مع أئمة الصوفية وعلى رأسهم أبو الفتح الواسطي، وعند عودته إلى تونس أخذ يعقد المجالس العلمية التي كان يحضرها مئات المريدين، كما أنه عمل على دعوة

[1] – فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479 – 635 هـ / 1086 – 1238 م)، مذكرة ماجستير بتاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 2007 – 2008 ، ص 16.

[2] – عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها و روادها، دار المعارف، القاهرة، سنة 1995م، ص 124.

الناس على طريقته، وبهذا فان الشاذلي قد أسهم بالتواصل المعرفي في المجال الروحي بين أقطار العالم الإسلامي[1].

كما نجد أيضا الشيخ أحمد البدوي (ت1276م)، الذي رحل إلى المشرق الإسلامي بدافع البحث على مراكز التصوف بها واستقر بمدينة طنطا بمصر، فنشر تعاليمه الصوفية فيها وأسس الطريقة الأحمدية التي أخذت تنتشر تدريجيا إلى أن وصلت أغلب أنحاء مصر ومنها إلى البلاد الإسلامية[2].

كما نذكر رحلة ابن العرب المعافري الذي ارتحل إلى المشرق مع أبيه سنة(485 هـ – 1092 م) وكان عمره سبعة عشر عاما، تتلمذ على يد كبار العلماء بمصر و الحجاز والشام والعراق، ففي بغداد حضر دروس أبي حامد الغزالي وقد استغرقت رحلته ثماني سنين[3].

[1] – عامر النجار، مرجع سابق، ص 125.

[2] – عبد الإله حمزاوي، رحلة الحج في المغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، السنة الجامعية 2014م – 2015م ، ص 55.

[3] – نفسه، ص 60.

ج- المصنّفات الصّوفية:

من خلال تتبع الخلفية التاريخية للتصوف يتضح لنا أن تياراته ومدارسه ظهرت في المشرق منذ بداية القرن الثاني الهجري إلى غاية القرن السادس هجري، وهذا راجع إلى الوحدة العقائدية بين المشرق والغرب الإسلاميين، وبات التلاقح بينهما بديهيا خاصة في مجال التصوف الذي بدأ بالرحلة والحج بالإضافة إلى المصنفات الصوفية التي كان لها وزن في مجال الترويج لهذا العلم في بلاد الغرب الإسلامي من خلال شرح تعاليم التصوف على يد كبار العلماء المتصوفة .

وقد أدخلت العديد من المؤلفات الصوفية المشرقية إلى بلاد الغرب الإسلامي، و من بين أبرزها وأكثرها تأثيرا في ظهور التصوف نجد كتاب " الرعاية " للحارث بن أسد المحاسبي (ت 254 هـ - 895 م) [1]، و" قوت القلوب " لأبي طالب محمد ابن علي المكي (ت ق 3 هـ - 9 م)، كما أن كتاب " الرسالة القشيرية " لأبي القاسم القشيري (ت465هـ)، وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي بالإضافة إلى مصنفات أخرى[2].

فخلال عهد المرابطين جلب سعدون القروي (ت ق 5 هـ) من مكة إلى المغرب الأقصى مجموعة من المصنفات الصوفية وعمل على تدريسها أبرزها كتاب "الأنوار" لأبي الحسن بن جهظم (ت 411 هـ - 1020 م)، وكتاب "طبقات الصوفية" لعبد الرحمان بن الحسين السلمي (ت1276م)، وعدد من كتب أبي بكر المطوعي (ت 1021م)، أشهرها "المقالات في المقامات" وكتاب "أخبار الشلبي" ، ومن الذين أدخلوا كتابي التصوف "الرسالة القشيرية" و"إحياء علوم الدين" القاضي أبي بكر بن العربي (

[1] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 62.

[2] – الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، سنة644هـ-714هـ، ص 321.

ت 543 هـ – 1148 م)، التي جلبها إلى الأندلس بعد عودته من المشرق سنة (493 هـ – 1093 م)، كما دخل " قوت القلوب " الأندلس على يد أبي بكر محمد بن نعمة القرشي (ت خلال القرن 5 هـ)، الذي أخذها عبد الكريم محمد الصقلي عن محمد بن شعيب ألمقرئي عن صاحبه أبي طالب المكي[1].

وقد عمل العلماء والمتصوفة على تدريس هذه المصنفات وشرحها للطلبة بالغرب الإسلامي، بعد أن تلقوها أو سمعوها في مجالس الدرس كما لا يخفى عنا الدور البارز الذي لعبه المتصوفة الأندلسيين الذي قصدوا الحواضر الكبرى كبجاية و تلمسان بقصد تجديد أنفاس الرحلة ذهابا وإيابا، فعمل هؤلاء على شرح وتبسيط محتويات هذه المصنفات لجمهور الطلبة والمهتمين[2]، كما كان لانتقال المتصوفة من جميع أنحاء الغرب الإسلامي الدور الهام في التعريف بهذه المصنفات، وهذا لا يعني أن المصنفات المشرقية كانت تسيطر على ساحة التصوف السني لأن القرنين السادس و السابع هجريين كانا أيضا مرحلة ظهرت فيها مصنفات صوفية أندلسية ومغربية نافست المصنفات المشرقية مثل مؤلفات عبد الحق الاشبيلي (ت 581 هـ – 1282 م)، و مؤلفات تلميذه محمد بن عبد الرحمان التجيبي (ت 610 هـ – 1214 م)، التي أرست دعائم الاتصال الصوفي القائم على الوعظ والتذكير، بل أن مؤلفات عبد الحق الاشبيلي ظلت مرجعا أساسيا لصوفية المغرب والأندلس إلى ما بعد القرن السابع هجري[3].

[1] – الغبريني، مرجع سابق، ص 321.

[2] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 83.

[3] – نفسه، ص 83.

2- العوامل الدّاخلية :

أ-**العوامل السّياسية :** شكّل المناخ السّياسي في الدولتين المرابطين و الموحدية عاملا أساسيا في نشأة التصوف في الغرب الإسلامي، وعلى الرغم من أن عامة المجتمع وجد في شريحة المتصوفة المخرج الوحيد لهم من حياة الترف والبذخ التي عاشها المجتمع في تلك الفترة، وهذا ما دفع بالسلطتين المرابطية والموحدية من اتخاذ موقف من فئة المتصوفة تباين تارة بالود والتعايش والتوتر تارة أخرى، وهذا راجع إلى خوفهم من تنامي قوة هذه الشريحة وظنهم بأنها ستكون سلطة منافسة لهم في هذه المنطقة.

-**موقف الود والتعايش:** إن الحديث عن موقف المرابطين من فئة المتصوفة يوجب علينا الإشارة إلى الخليفة يوسف بن تاشفين (465- 500 هـ / 1061- 1105 م) الذي يمثل أعلى سلطة مرابطية والذي كان من الزهاد المتبتلين كما كان المرابطون خلال دعوتهم ملتزمين بالسنة والقران وكان مذهبهم مالكي[1]، وقد كانوا محبين للجهاد عملوا على إعلاء كلمة الحق[2]، وقد كان أمرائهم على درجة عالية من الزهد والتبتل، كما عمل أحفاد يوسف بن تاشفين على العبادة والتقشف في المأكل والملبس ومن بينهم ابنه علي بن يوسف (تولى الحكم 500 هـ - 1105 م / 537 - 1142 م) الذي قيل عنه أنه أقرب إلى الزهاد منه إلى الملوك، كما كانوا يهتمون بدراسة الكتب الصوفية[3]، وقد وصفهم المفكر "ديل اكلمان" بالحكام الذين جمعوا بين سياسة العقلاء وتقوى الزهاد[4] .

---

[1] - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج 6، ص 374.

[2] - نفسه، ص 375.

[3] - الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 86 .

[4] - ابن الزيات، مصدر سابق، ص 101.

أما الحديث عن دولة الموحدين فلم يكن التشجيع إلى فئة المتصوفة مباشرا بل أنهم عملوا على اجتناب المواجهة معهم، فعملوا على استمالتهم إلى جانب صفهم، بل يمكن القول أن سلطة الموحدين كانت تدرك خطر المتصوفة على الجهاز الموحدي لأنها فئة لها وزن ديني واجتماعي، وبذلك فإنّ اقتراب الموحدين من المتصوفة كان بسبب قناعتهم بأن رجال التصوف قد اكتسحوا مجتمع الغربي الإسلامي وتصدروا القيادة الدينية فيه[1].

إن نظرة الموحدين للمتصوفة نظرة مصلحة ورأت أنهم قوة قابلة للاستقطاب من أجل عملية الجهاد، أو من أجل المساندة في صراعها ضد المالكية الخصم المشترك لهما، وبهذا فإن استقطاب الموحدين لفئة المتصوفة جاء وراء فكرة ربط الدعوة التومرتية بفكر الغزالي فمزجوا بين الفكر الصوفي والمهداوية وطموح العامة[2].

-مواقف التوتر:

إن البحث في تاريخ العداوة بين السلطة والمتصوفة، يرجع بنا إلى سنة (504 هـ - 1109م) وهذه السنة عرفت حدثا هاما في المغرب والأندلس على حد سواء و هذا التاريخ عمل إشارات قد تفيدنا كيف أصبح التصوف يحمل السيف من أجل الوصول إلى السلطة، وتظهر بوادر الاختلاف بين الاتجاهين في قرار إحراق كتاب "إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي[3] ،

---

[1] - عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين " عصر الطوائف الثاني "، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، سنة 1408-1988م، ص 451.

[2]- نفسه، ص 452 .

[3] - احترق كتاب "الإحياء"سنة 503هـ بمدينة قرطبة بالأندلس،ونفذت بالمغرب أثناء حكم علي بن يوسف الذي عمل بفتوى فقهاء قرطبة و على رأسهم القاضي ابن حمدين، فأمر بإحراق الكتب بقرطبة، أنظر: ابن القطان أبو الحسن علي ابن محمد، نظم الجمان، د ط، تح، محمود علي مكي، مطبعة المهدية، تيطوان، المغرب، ص 14.

أما عند الموحدين فخلال فترة حكم عبد المؤمن بن علي[1]، الذي أولى اهتماما كبيرا خلال توليه الحكم وهذا الاهتمام يمكن ملاحظته من خلال السياسة القمعية التي اتبعها اتجاه المتصوفة، والتي لمحت لنا موقف الموحدين من هذه الفئة، فقد صادف عبد المؤمن بن علي في سنواته الأولى في الحكم قيام ثورتين هامتين واحدة في الأندلس والأخرى في المغرب خلال الفترة الزمنية من (539 – 546 هـ) و تزعمتهما شخصيتين ذات منحى صوفي الأولى تزعمها الصوفي أبو القاسم أحمد بن قسي والتي كان مسرحها منطقة الغرب الأندلسي، وقد سميت بثورة المريدين، في حين عرفت الثورة الثانية باسم ثورة ابن هود برباط ماسة، والتي كانت مدعومة من طرف جماعة متصوفة، وبهذا يمكن القول أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي عاصر مرحلة التصوف كان لها طموحات سياسية إلى جانب بعدها الديني وقد كانت هذه الثورات تشبه إلى حد كبير حركتهم التي تزعمها المهدي ابن تومرت و بالتالي تنافسها.

[1] – هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، وكومة قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر في أعمال تلمسان، ومولده هناك في قرية يقال لها تاجرة، التقى بمحمد بن تومرت واستكمل معارفه على يديه عينه هذا الأخير قائدا لجيوشه ضد المرابطين، انظر: ابن خلكان، وفايات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج4، ص 236.

ب- العوامل الاقتصادية و الاجتماعية:

إنّ ظهور التصوف في بدايته الأولى كان ملتصقا بالزهد والتقشف والامتناع عن زخرف الدنيا والابتعاد عن شهواتها في ظل الثراء والبذخ التي كانت تعيشه أغلب المجتمعات الإسلامية، وهذا ما دفع بالمتصوفة إلى نشر أفكار تدعو إلى الزهد و تحبب الفقر إلى نفوس العامة مستدلين بذلك بالفقر الذي كان يعيشه الصحابة و التابعين .

إنّ ظهور التّصوف والزّهد بالغرب الإسلامي تزامن مع الثراء الاقتصادي للمنطقة[1]، وبالرغم من أن أغلب مدن الغرب الإسلامي قبل القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي كانت مراكز تجارية يقصدها التجار من المشرق وبلاد السودان باعتبارها مراكز ومعابر تجارية هامة[2]، كما أن أغلب مناطق الغرب الإسلامي كانت أراضي زراعية بدرجة أولى وهذا ما ساهم وبشكل كبير في غنى ورخاء المجتمع[3].

ومن هذه المنطلقات اتّضحت قيمة الثراء الاقتصادي في مجتمع الغرب الإسلامي ودوره في توجيه الناس إلى الاهتمام بجمع الأموال، وهذا ما أدى إلى اختلال في التوازن الطبقي بين شرائح المجتمع لصالح الأثرياء والتجار، فأصبح الأفراد يقيمون في المجتمع بناءا على درجة الثراء وأصبح المال أساسا الوجود[4] .

وهذا ما أدى إلى ظهور أفكار تدعو إلى الزهد والتقشف وعدم إعطاء المال أدنى اعتبار فظهر مجموعة من الزهاد نبذوا فكرة الثراء ودعوا إلى التجرد من الدنيا نذكر

---

[1] – أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشروق، بيروت، سنة 1403هـ- 1993م، ص 348- 351.

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، ط1، دار الطليعة، بيروت، سنة 1993م ، ص 126.

[3] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 88.

[4] – نفسه، ص 90 .

من أبرزهم عبد الرحمان بن زياد الله الطبني (ت 401هـ – 1011م) بالإضافة إلى أحمد بن مخلوف المسيلي المعروف بالخياط (ت 393 – 1003م)، كما ظهر الزاهد أبو القاسم بن مالك (ت القرن الخامس هجري) بالإضافة إلى أسماء أخرى من الزهاد كان لهم دور بارز في ظهور التصوف بالغرب الإسلامي ، و هذا لا يعني أن عامل الثراء الاقتصادي كان لوحده كافيا لبلورة الأفكار الصوفية، بل إن الاطلاع على مصنفات الصوفية والاحتكاك مع كبار المتصوفة بالأندلس والمشرق ساهم في نشر التصوف[1].

كما أن الضائقة الاقتصادية كان لها أثر في ظهور التصوف بالغرب الإسلامي و هذا بعد سنوات من المبالغة في الإسراف والبذخ خاصة في عهد الأمير يحي بن عبد العزيز (515هـ – 547هـ / 1106 م–1152 م) ، وهذا ما أدى إلى تدهور أوضاع الدولة فلم يكن له حل إلا فرض الضرائب على رعيته[2]، ممّا أثقل كاهل الرعية حيث بلغت الأزمة ذروتها وعلى الرغم من الثراء الذي مس مدن الغرب الإسلامي من قبل إلا أنه لم يمس جميع فئات المجتمع، وبقيت فئات تعاني من الفقر[3]، وهي فئة الحرفيين والصناع والمزارعين والعبيد والخدم، وبهذا ظهر التصوف كرد فعل على هذه الأوضاع وبذلك صار الفقر عنوان وعلامة إخلاص على التجرد من الدنيا[4]، وممّن كانت لهم هذه النظرة الصوفية نذكر عبد السلام التونسي (ت 512هـ – 1117م) وأبا زكريا بن يوقان (ت 537هـ – 1142م) و بما أن الفقر

[1] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 94.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 362.

[3] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 95.

[4] – الغبريني، مصدر سابق، ص 64 .

حالة اجتماعية يعيشها فئة الطبقة الدنيا من المجتمع هذا ما أدّى إلى الدفع بالكثير من الفقراء إلى الدخول في التصوف بسبب أن الصوفية كانوا يسمون بالفقراء[1] .

أمّا من الناحية الاجتماعية وعلى الصعيد الأخلاقي وقد عرفت بلاد الغرب الإسلامي كغيرها من البلدان انتشار الآفات الاجتماعية فلا عزو أن تردت بعض السلوكات الغير أخلاقية وشاعت المنكرات من شرب الخمور والزنا والسرقة والقمار و اختلاط الرجال مع النّساء في الأماكن العامّة[2] .

وفي ختام هذا المبحث نستطيع أن ننتهي الى الخلاصة الآتية: أن الأحداث التي عاشتها بلاد الغرب الإسلامي في هذه الفترة، وما حدث من تغيرات على إثر الأحداث السياسية التي تمثلت في الاستقرار والاقتصادية التي تمثلت في حياة البذخ والترف كانت حافزا لانتشار التصوف.

ولا ننسى الدور الذي لعبته العوامل الخارجية كالحج والرحلة وانتقال المصنفات بين المشرق والغرب الإسلامي كل ساعد على انتقال التصوف من المشرق وانتشاره ببلاد الغرب الإسلامي.

[1] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 95 .

[2] – نفسه، ص 96 .

1-تيار التصوف السني :

اتّبع أصحاب هذا التيار الشرع واتعدوا عن الحوض في المسائل الفلسفية كما اقبلوا على العبادة و أكثروا من الأدعية، وتفضيلهم الآخرة عن الدنيا والعمل لها [1] فبذلك كان تصوفهم بسيطا عبارة عن نظام قائم على القران والسنة والاقتداء بالسلف الصالح واحتقار الدنيا والزهد في أي شيء والخوف الشديد من عذاب الله[2]. حيث عمل أصحاب هذا التيار إلى نهج أسلوب المجاهدة كالصيام والقيام والزهد في الحياة إلى جانب ميلهم إلى قراءة الرقائق واجتهد العديد منهم في محاسبة النفس وتأنيبهم لها وكان بعضهم دائم العبادة والحزن والخوف من الله[3]، حتى إن أحدهم بلغت به درجة محاسبة نفسه إن رفض تناول الدواء عند مرضه وأقبل على الصيام حتى وافته المنية[4]. فقد برز في هذا التيار أبي عمر عثمان بن علي التلمساني (ت 542 – 1147) الذي كان يختم القارن كل ليلة وأقبل كذلك زكريا بن يوقان الصنهاجي(ت 537 هـ – 1177) على القيام بالمجاهدات والرياضات النفسية بالإضافة إلى إبراهيم بن سيول الاشبيلي (ت 1118 م) [5]، وأبي عبد الله محمد بن علي العمراني المعروف بمداومته على العبادة والكرامة الصوفية حتى إن الناس يعظمونه وقد فضل على أبي مدين شعيب[6].

وهذه المرحلة التي مرّ بها التّصوف تعرف باسم المجاهدة النفسية واندرج ضمن هذا التيار أيضا أبو جعفر محمد بن عبد المالك الضبي (ت 577 هـ – 1188 م)، و

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 165.

[2] – حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، سنة1980م، ص 476.

[3] – محمد الأمين بالغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479– 539هـ/ 1089– 1144م)، القافلة للنشر و التوزيع، القسم الثاني، ص 255.

[4] – ابن الزيات، مصدر سابق، ص 465.

[5] – نفسه، ص 463.

[6] – نفسه، ص 463.

من ذوي الجهد والصيام فقد أمر أن يكبل من رجليه وانعزل في غرفة لوحده وانقطع عن الطعام طيلة 28 يوم، وأحمد بن عمر بن افرند الذي زهد في الدنيا إلى جانب عبد الرحمان بن صقر الأنصاري الذي اشتهر بالزهد والصدقة والإيثار واعتكف على قراءة الرقائق وعلي بن هذيل (ت 546 هـ - 1168 م) الذي اشتهر بالصيام و الزهد وكثرة تصدقه[1].

- وقد اقبل كل من عبد الله بن محمد القرطبي ، وأبو عبد الله بن عبد الكريم الغرناطي، وجل هؤلاء عملوا على جعل أفعال الخير تصدر عن أنفسهم عن طريق تدريبها بالرياضات التي يتم من خلالها الابتعاد عن الدنيا وعدم الاهتمام بملذاتها و ساعدهم في ذلك كثرة الصيام والعبادات كقيام الليل والتهجد فتعودت أنفسهم بعدها على تلك الرياضات، وقد تمسك أتباع التيار السني بكتاب الله وسنة نبيه الكريم و اتخذوهما أساسا لتصوفهم فاهتموا بالزهد والعبادات والجانب الأخلاقي وبات عندهم الفعل أو الترك وهذا ما يعرف بمجاهدة الاستقامة[2].

- والحقيقة أن التصوف قام على أساسا مجموعة من القواعد بدأت بمحاسبة النفس وهي فرض على كل صوفي سني[3]، لأن النفس أمارة بالسوء وكذلك محبة الغير و رأفة بهم وأخيرا التحلي بمكارم الأخلاق، إذ نجد هذه الأخيرة قد أخذت مكانا هاما في التصوف السني وأصبح لا يصيح إلا بصحتها، حيث انكب أصحاب التيار السني على الدفاع عن الإسلام ونشر مبادئه[4]، ومن بينهم نجد وجاج بن زلو اللمطي

---

[1] – ابن الابار، التكملة، لكتاب الصلة، تحقيق الدكتور عبد السلام الهراش، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، سنة 1415هـ-1995م، ص80.

[2] – ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، ق1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 264 ، 265.

[3] – عبد الكريم الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، ط1، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة الجزائر، سنة 1997، ص 40- 42.

[4] – نفسه، ص 48 ، 49.

الذي بنى دارا للطلبة وعمل على نشر أفكاره ومبادئ الإسلام، ومن بين الذين ندرجهم ضمن هذا التيار أبو محمد عبد الواحد بن تمرت الهسكوري الذي حارب إلى جانب الموحدين في معركة الأرك (591 – 1195) واستشهد فيها، وأبو صبر أيوب بن عبد الله الذي اشتهر بالزهد والتصوف وهو من المتصوفين المجاهدين استشهد بمعركة حصن العقاب[1] (609 – 1212) ، وقد شارك في هذه المعركة العديد من المتصوفة الزهاد الذين أثروا الجهاد والمرابطة بالثغور على الاعتكاف بالعبادة والقيام بالمجاهدات وهذا ما عرف بالمجاهدة العملية، حيث رفض أصحاب هذه الأخيرة مبدأ المجاهدة النفسية واتبعوا أثر السلف الصالح، وعملوا على المرابطة بالثغور والربط والدفاع عن المسلمين لأجل الاستشهاد، وحسبنا في ذلك أيضا الإمام الزاهد الفقيه أبو علي الصدفي الذي لم يتردد في المشاركة بمعركة رغبة في اغتنام الشهادة[2].

- وهناك من المتصوفة السنيين من اتبعوا أسلوب الوعظ والتذكير لدعوة الناس إلى حب الله والحث على العمل للآخرة كما اجتهدوا في محاربة البدع وشددوا في ذلك و التزموا بإتباع السنة، ومن هؤلاء نجد علي بن مبارك (ت 500 هـ – 1106 م) الذي عمل على وعظ الناس بمرسية، وعليم بن عبد العزيز (ت 564 – 1168 م) الذي حرص على نصح الناس ودفعهم إلى تغيير المنكر والتفرغ للعبادة وقراءة كتبه[3]، وعلي بن محمد الشقري الذي عمد أيضا على وعظ الناس ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد عرف اتجاهه الوعظي انتشارا واسعا عمل بعض المتصوفة على اتخاذ الربط لوعظ غيرهم كابي محمد تيلجي الذي كان واعظا برباط شاكر.

---

[1] – عبد الكريم الجزائري، مرجع سابق، ص49.

[2] – حسين مؤنس، تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار مطابع المستقبل بالفجالة، القاهرة، سنة 1980م، ص 28.

[3] – ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 265.

- يبدو أن المتصوف عبد الحق الإشبيلي كان من تلامذة أبو مدين شعيب و حضر مجالسه[1]، فقد لزم الزهد فتقلل من الدنيا واشتهر بالتزام السنة واتبع أسلوب التفكير بالموت وأهواله لينهي الناس عن حب الدنيا وملذاتها ويدعوهم إلى العمل للآخرة وهذا ما يتبين في مختلف أشعاره ومؤلفاته فكان أسلوبه في الكتابة ذو نزعة سنية ابتعد عن استخدام الرموز والألغاز التي اشتهر بها غيره من متصوفة الغرب الإسلامي[2]، وقد تأثر بأفكاره مروان بن عمار بن يحي البجائي وعبد الرحمان التجيبي الذي دخل تلمسان وألف عدة مؤلفات في الزهد والمواعظ منها أربعون حديثا في المواعظ، وأخرى في الفقر وفضله وعرفت أفكاره في الوعظ والزهد رواجا و انتشارا بتلمسان[3] ، كما نجد محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628 هـ – 1230 م)، وقد أخذ عن عبد الحق كل من ضياء الدين أبي العباس الأنصاري القرطبي وأبي محمد عبد العزيز التميمي التونسي، كما كان محمد بن عبد الله الأنصاري البلنسي (ت 640 هـ – 1248م) وهو أيضا متصوف واعظ إذا كان له عدة مؤلفات في هذا المجال "كنسيم الصبا في الوعظ" و "بغية النفوس الزكية في الخطب الوعظية"[4].

- كما ظهر أبو عبد الله بن الحجام في تلمسان صاحب المواعظ الكثيرة الذي كان مجلسه قائم على وعظ وتفكير الناس من جهة وتحذيرهم وتخويفهم من جهة أخرى[5].

- و كان ظهور أصحاب الوعظ والتفكير في الغرب الإسلامي إبان عصري المرابطين والموحدين يرجع إلى الأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع خلال تلك الفترة كانتشار المنكرات به والتفسخ الأخلاقي قد كان بمثابة تيار معاكس لتلك

---

[1] – رابح بونار، عبد الحق الاشبيلي محدث القرن السادس هجري– مجلة الأصالة، العدد 19، السنة4، مارس – أفريل، سنة 1974م، ص 154.

[2] – نفسه، ص 159.

[3] – المقري، مصدر سابق، ج3، ص 160.

[4] – ابن الابار، مصدر سابق، ج2، ص 652.

[5] – ابن الزيات، مصدر سابق، ص 463.

الأوضاع من خلال اعتماد رواده أسلوب التخويف والتشدد كأساس لردع النفس البشرية الأمارة بالسوء، التي لا تستقيم إلا بالخوف والترهيب[1]، إلى جانب هذا هناك من المتصوفين من عمد إلى اعتزال الناس والانقطاع عنهم أما في منازلهم أو في زوايا المساجد أو الجبال أو الكهوف والمغارات وحتى المقابر.

- بالإضافة إلى بروز متصوفة كانوا ينقطعون عن الناس للعبادة والعلم بجل خارج بجاية خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، وهذا ما يعرف بالخلوة و الانقطاع، ومن بين هؤلاء نذكر خلف بن سليمان (ت 505 هـ - 1111 م) الذي لم يكن يغادر بيته إلا يوم الجمعة حيث ألزم نفسه صيام الدهر، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمان المالقي (ت 533 هـ - 1138 م) هو الآخر اعتكف في بيته طيلة 25 سنة إلى أن وافته المنية وأبا إسحاق إبراهيم ابن أحمد الطليطلي الذي قام بواد "واش" واشتهر بالصلاح والورع والانقباض عن الناس[2].

- وقد سار على نهجه أحمد بن عبد القادر الهمذاني الغرناطي وكذلك أبي جعفر أحمد بن يوسف البلنسي (ت 615 هـ - 1218 م) [3].

- وأبا عبد الله محمد بن يحي المصالي الذي عاش خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي الذي انقطع عن الناس ولم يكن يرى إلا يوم الجمعة وفي الأعياد[4].

- كما برز أبو عبد السلام بن أبي الله أمغار من المتصوفة الذين اعتكفوا وابتعدوا عن الدنيا وابنه أبو يعقوب يوسف أيضا من المتصوفة واشتهر بعلو شأنه بين الناس وتميزت أسرة الأمغار بالصلاح والخير[1]، وحرصوا على اتّباع السنة في تصوفهم .

---

[1] – الغبريني، مصدر سابق، ص 136.

[2] – المقري، مصدر سابق، ص 182.

[3] – ابن الآبار، مصدر سابق، ص 108.

[4] – الصدفي، السر المصون في ما أكر به المخلصون، ط1، تحقيق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، سنة 1409هـ-1989م، ص 65.

- وهناك أيضا أبو القاسم أحمد القيسي (توفي 675 هـ – 1276 م) أما أبو الحسن عبد الله الأزدي (ت 691 هـ – 1291 م) فقد رحل من رندة إلى بجاية و استوطن بها وانقطع عن مخالطة الناس وتشدد في محاربة الشطحات من الصوفية، كما لم يكن متسامحا مع من خالف الشريعة وهناك من المتصوفة الذين اتبعوا طريق التصوف دون سابق دراية بمبادئه ونظرياته، ولم يكن لهم اطلاع عليه وكان تصوفهم ناتج عن ظرف ما وحادثة غيرت سلوكهم ودفعتهم إلى ولوج الزهد والتقشف فكان تصوفهم تلقائيا أي التصوف التلقائي بيد أن أتباع هذا التصوف شكلوا نسبة قليلة إذ ما قورنوا بغيرهم ممن درسوا عن التصوف ونهلوا عن مشايخهم ومن بين هؤلاء نذكر : مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد (ت 572 هـ – 1176 م) الذي عمل على حفر كهف انعزل فيه للتعبد وسمي باسمه " درب العابد " .

- وأبو محمد صالح بن عمر تخلى عن الدنيا والتزم حياة الزهد والتقشف وأبو إبراهيم إسحاق ابن محمد الهزرجي رأى الرسول في نومه تصدق بكل أمواله واعتزل حياة الترف[2].

- إلى جانب أبي عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي (ت 590 هـ – 1193 م) الذي لبس جبة راعي ومنح ثوبه ورحل عن الأندلس إلى تلمسان فأثر بذلك حياة الزهد والتصوف عن الترف والإسراف الذين كان فيهما من قبل.

- فضلا عن أبي العباس المعروف بالحباك (ت 613 هـ – 1216 م) الذي تاب في جنازة أبي مدين شعيب حين رأى التفاف الناس حول الأمر الذي يدفع به إلى ترك حياة الغنى والترف التي كان فيها وأقدم على إعطاء ملابسه للفقير ولبس مرقعته، ناهيك عن العديد من المتصوفة ممن تابوا بعدما كانوا سراقا ومن أصحاب

---

[1] – تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج6، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية عابدين، القاهرة– مصر، سنة 1385هـ – 1966م، ص 157.

[2] – نفسه، ص 160.

الدعارة وقطاع الطرق فضلا عن ما كان مغنيا في الأعراس مسرفا على نفسه أو من كانوا يشربون الخمر[1].

2/ تيار التصوف السني الفلسفي:

خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي اتّجه المتصوفة إلى ما يعرف بالكشف[2] من خلال معرفة صفات المولى عز وجل ورؤية العرش والكرسي و الملائكة[3]، وحتى يتبين للمتصوف الكشف في عالم الغيب فلابد له من أن ينجح في المجاهدات والتقوى والاستقامة مع إشراف أحد الشيوخ عليه ممن كشف له عالم الغيب، إذ يجعله المريد قدوته فيتبع نصائحه ويعتزل الناس ويقوم بمجموعة مجاهدات ويلتزم الصمت ويعمل على الصيام والقيام فيحمد بذالك إحساسه، وقد أكد القشيري على أنه يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فهو عابد هوى لا يحد نفاذا، إذا يمكن أن يغيض عن القلب المريد له أن تنقطع مجاهدته وتفتر لذا عليه أن يداوم على تلك المجاهدات ويلازمها طوال حياته حتى يتمكن في الأخير من الكشف حينما يتعرض المريد للمواهب الربانية و العلوم الدينية[4].

- ويدرك حقائق الوجود والكثير من الوقائع قبل حدوثها ويتعرض نفس المريد أثناء قيامه بالمجاهدات التي سبق ذكرها إلى عدة صفات خارجة عن إرادته كالسرور و الحزن والطرب والابتهاج والشوق والانزعاج والخوف، وهي مواهب من الله خارجة عن الكسب وبهذا فقد اتبع أصحاب المجاهدة النفسية والخلوة والذكر للوصول إلى

---

[1] – زينب ملياني، التصوف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين، مذكرة نيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، سنة 2006 – 2007م/ 1427 – 1428 هـ ، ص 83.

[2] – نفسه، ص 84.

[3] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 39.

[4] – ابن خلدون، شفاء السّائل، مصدر سابق، ص 82.

كشف حجاب الحس للاطلاع على الحقائق الإلهية و إدراك العلوم الدنيوية ، و حافظوا في ذلك على أن يكون سلوكهم موافقا للشريعة[1]، و قد شمل مجموعة من المتصوفة

نجملهم في ما يلي :

- **أ- الغزاليون :**

و هم أتباع أبو حامد الغزالي صاحب التصوف السني لكن هؤلاء ممن تبعوا طريقته في التصوف و عملوا على قراءة كتابه " إحياء علوم الدين " الذي كان بمثابة القاعدة لهم فاستخلصوا أفكاره و آراءه عبر المطالعة المتعمقة[2]، و قد تمكن أصحاب الغزالي من الاطلاع على أراء الغزالي الصوفية المتواجدة في كتابه " الإحياء " الذي نقل إلى الغرب الإسلامي مع العلماء أثناء تأديتهم لمناسك الحج و من خلال الرحلات العلمية و يسمح ذلك بالالتفاف باتباع الغزالي فأخذوا عنهم أفكاره و مؤلفاته[3].

وساهموا في نشرها رغم الظروف الصعبة التي وقفت حاجزا أمام الاطلاع على مؤلفه الذي قوبل بالرفض من قبل السلطة المرابطية التي أقدمت على حرقه[4]، و من بين الذين تتلمذوا على يد الإمام الغزالي نجد أبو بكر العربي المعافري (ت 543 هـ - 1148 م) وهو من المهتمين بالزهد والتصوف، وقد استفاد منه عدد كبير من العلماء كما أخذ عنه بعض المتصوفة الذين اشتهروا فيما بعد[5]، واستطاع

---

[1] - ابن خلدون، شفاء السّائل، مصدر سابق، ص 88.

[2] - عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، سنة 1991م، ص 43.

[3] - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة المالكية، الرباط، سنة 1399هـ - 1979م، ص211.

[4] - ابن القطان، نظم الجمان، د ط ، تحقيق محمود علي مكي، مطبعة المهدية، تطوان، المغرب، ص 14 ، 15.

[5] - أبو بكر العربي، أراء أبي بكر العربي الكلامية من كتاب العواصم والقواسم، ج2، تحقيق ونشر عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1981م، ص 30، 31.

متصوفة الغرب الإسلامي رغم كل ظروف الاطلاع على مذهب الغزالي الصوفي من خلال كتابة "الإحياء" فنجد منهم من كان أميّا إلا أنه بلغ شأنا كبيرا في التصوف كأبي يعزى يلنور (ت 572 هـ - 1176 م) الذي وصف بالقطب[1]، وكانوا يدعونه باسم مولاي بوعزة على سبيل التعظيم له[2]، وممن تأثروا بالغزالي أيضا أبو شعيب بن سعيد الصنهاجي (ت 561 هـ - 1165 م) الذي ألزم نفسه التصوف بكل الأموال التي رجعت إليه عن أجرته على تعليمه للأطفال، وذلك لخوفه الشديد من الله وداوم على القيام بالمجاهدات والرياضات فرمى بنفسه في الوادي ليقهرها حتى لا تنازعه في الوضوء بالماء البارد وبرز أيضا أبوا الفضل ابن يوسف بن النحوي (ت 513 هـ - 1119 م) الذي يشبه الغزالي في علمه[3]، حرس أتباع الشرع والفقه المالكي الذي أشاد بإمامه مالك[4]، حتى أنه دافع عنه بشدة عندما أفتى الأمير مرابطي بإحراق كتاب " الإحياء " وقام بنسخه في ثلاثين جزءا وعمل في شهر رمضان على قراءة جزء كل يوم، وقد غلبت عليه حالة الحضور مع الله فكان يصلي ولا يأبه بكثرة الأصوات بداره[5]، وهذا إلى جانب المتصوف أبو جبل (ت 501 هـ - 1107 م) صاحب المجاهدات والسياحات الكثيرة التي أراد من خلالها الوصول إلى إدراك العلوم الدينية وقد تأثر أبو مدين شعيب (594 هـ - 1197 م) هو الأخر بالغزالي وكان يقول : نظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء

---

[1] – القطب هو الجامع للأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة ويسمى قطب كل من دار عليه مقام من المقامات و انفرد به في زمانه على أبناء جنسه، أنظر: رفيق العجم، مرجع سابق، ص 77.

[2] – عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 211.

[3] – أحمد بابا التمبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (في التراجم المالكية)، ط1، تعليق أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، سنة 1422هـ - 2002م، ص 411.

[4] – نفسه، ص 475.

[5] – عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 210.

للغزالي، واستطاع أن يبين أفكاره على أساس التصوف القائم على فكر الغزالي مكونا بذلك اتجاها مبسطا كان له أتباعه ومناصروه عرفوا بالمدينيين[1].

ب- المدينيون :

وهم أتباع أبو مدين الغوث وقد تنوعت ثقافة هذا المتصوف بحكم أنه زار مناطق عديدة والتقى بمشايخ كثر أخذ عنهم واكتسب ثلاث ثقافات أندلسية ومغربية و مشرقية، وخلص في الأخير إلى طرح مذهب صوفي اخرج فيه ما أخذه من الأندلس والمشرق والمغرب من ثقافات، وقد قام على عدة أسس فرأى أن الزهد الحقيقي هو الذي يطهر قلب المريد من الشهوات ويغمره بحب الله فقال: التعظيم امتلاك القلب لتعظيم الرب[2]، ويتم ذلك بالمداولة على ذكره تعالى وقد قال في هذا السياق:

إني إذا ما ذكرت رب *** يهتز شوقي إلى لقياه

طابت حياتي و ضاء قلبي *** بذكر رب جل ثناه[3] .

كما رأى ضرورة محاسبة المريد لنفسه بالقيام بالرياضات فقال: من لم يجد في نفسه زاجرا فهو خراب حتى يتفرغ قلبه من أمور الدنيا وعما سوى الله ويتمكن المريد من الوصول إلى مرحلة الكشف بعد تطهير قلبه، ويكشف له حينها الحقيقة الإلهية فيكسب العلوم الدينية، وقد استطاع أبو مدين شعيب بآرائه التي أبرزها أن يوافق بين

[1] – أبو بكر العربي، مصدر سابق، ص 40.

[2] – الغبريني، مصدر سابق، ص 56.

[3] – العربي بن مصطفى الثوار، ديوان القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين الحسين الأنصاري الاشبيلي، (ت 594 هـ)، ط1، مطبعة الترقي، دمشق، سنة 1357هـ – 1938م، ص 80.

عدة نظريات صوفية تفهمها من خلال ثقافة مشرقية ومغربية وأندلسية التي ضمنت له ذلك فدمجها وخلص في الأخير إلى مذهب صوفي حمل أفكاره[1].

وكان أبو مدين يسمى شيخ الشيوخ وتلميذه ابن العربي هو من أطلق عليه هذا الاسم[2]، وقد كان له ببجاية مسجدان يجتمع فيهما بأتباعه وأصحابه الذين استفادوا من علومه كما كان يتردد على رابطة ابن الزياد لمراقبة طلبته وهم يؤدون أوراده و يسبحون ويذكرون الله ، وقد ألف كتاب " أنس التوحيد و نزهة المريد " الذي أراد من خلاله تقريب الطريق للمريدين[3].

وقد تخرج على يد المتصوف أبو مدين شعيب عدد كبير من الطلبة تأثروا بتياره الصوفي[4]، وممن تتلمذوا له أبو عبد الله محمد الصنهاجي ***القلـي*** (ت 628 هـ – 1230 م) الذي لقيه ببجاية وأخذ عنه كما تأثر أبو محمد بن صالح بن محمد الفاسي الهسكوري (653 هـ – 1255 م) باتجاه أبي مدين الصوفي واشتهر بالعدالة[5]، و كان المريدون يسافرون للقاء أبي مدين في كل مكان لينهلوا من علومه ويتشبعوا بأفكاره الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا، والشيخ طاهر المزوغي[6] (ت

---

[1] – ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير و عز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فولر، دار النشر مطبعة أكدال الرباط، سنة1965م، ص 94.

[2] – الحمبلي أبو عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، مج 2، ص 303.

[3] – المقري، مصدر سابق، ص 143.

[4] – ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، مراجعة و طبع محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 108.

[5] – بن مخلوف، مصدر سابق، ص 266.

[6] – هو من عرب مزوغة بإفريقيا انتقل الى تونس للدراسة ثم تجول بعدة مناطق و دخل بجاية ثم عاد الى افريقية حيث توفي بها سنة 646 هـ – 1248م ، انظر: ابن مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 244.

646 هـ – 1248 م) الذي تأثر بأبي مدين هو الآخر وعمل على نشر أفكاره بسوسة[1].

ج- الشاذليـون :

وهم أتباع أبو الحسن الشاذلي[2] (ت 656 – 1258 م)، الذي تتلمذ على يد مجموعة من المشايخ ممن نهلوا عن المتصوف المشهور أبا مدين شعيب كأبي محمد بن عبد السلام بن مشيش[3] (ت 625 هـ – 1227 م) سمي أتباعه الشاذليون نسبة إليه، أخذ بتونس عن أبي سعيد خلف الباجي التميمي، وكان يدرس برباط بجبل زغوان الرسالة القشيرية والإحياء الذي كان شديد التأثر بصاحبه أبي حامد الغزالي، و قد دعا تلامذته بأن يتوسلوا له إلى المولى عز وجل عند قضاء حوائجهم وتمثلت تعاليم اتجاهه بخمسة أسس هي:

- تقوى الله في السر والعلانية.
- واتباع السنة في الأقوال والأفعال .
- الإعراض عن الخلف في السر والعلانية .
- الرضا عن الله في القليل والكثير .
- الرجوع إلى الله في السراء والضراء وكان شديد التأثر بمذهب أبي مدين شعيب بما أنه تتلمذ على يد شيوخ أخذوا تصوفهم عنه، وكان يحرص عن لبس ما يظهر

[1] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 272.

[2] – نسبة إلى قرية شاذلة بافريقية تلقى العلوم الشرعية و أتقنها، ثم سلك التصوف و رحل الى الأسكندرية توفي و هو في طريقه الى الحج بصحراء عيذاب سنة 656 – 1258م ، انظر: المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد أديب الجادر، ج2، دار صادر بيروت، ص 470 ، 471.

[3] – ابن مريم، مصدر سابق، ص 110.

سلوكه الصوفي وتقيد تلامذته بذلك بعده وفي هذا الصدد قال: لبست الطريقة بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة إنما هي باليقين والصبر والهداية[1].

كما أقر بقدرة العقل البشري على إدراك الحقائق الإلهية ومعانيها إلى جانب بغضه الدنيا وكان يأمل في كل ذالك إلى الوصول إلى المحبوب وهو الله والاتصال به[2]، ومن تلامذته الذين أخذوا عنه نجد أبو العباس المرسي (ت 685 هـ – 1287 م) الذي أخذ عن عاتقه رئاسة أتباع الشاذلي فكان يلقن لطلبته في مجلسه " الإحياء " للغزالي و " قوت القلوب " لأبي طالب المكي[3]، كما تشبعت المتصوفة السيدة عائشة المنوبية (ت 655 هـ – 1266 م) بأفكار الشاذلي بتونس وأقدمت على الخلوة والاعتكاف للعبادة بجل زغوان، وهناك من أخذ عن الشاذلي وتأثر به و هو بمصر كأبي إسحاق إبراهيم ابن ميمون الزواوي وأبي عبد الله البجائي وأبي الحسن البجائي وبقي سكان تونس إلى اليوم ينظرون نظرة إجلال واحترام إلى مقام الشاذلي ومغارته والمكان الذي كان يلقي فيه دروسه[4].

وبعد انتشار مذهب الشاذلي صار له أتباع عرفوا بالدراويش والفقراء وله أحزاب يتم تلاوتها من طرف الطلبة منها حزب البحر، وقد توفي الشاذلي بأرض الحجاز.

د- السبتيون :

وهم أتباع أبي العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي مولده بسبتة عام أربعة و عشرون وخمسمائة، شيخه محمد الفخار صاحب الفقيه الشيخ العالم عياض بن موسى اليحصبي قال عنه صاحب إظهار الكمال: هو بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف

---

[1] – المنوني، ورقة الآداب عن حضارة المرينيين، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سنة 1416هـ ، 1996م، ص 434.

[2] – المناوي، مصدر سابق، ج2، ص 470.

[3] – ابن مخلوف، مصدر سابق، ج1، ص 269.

[4] – المنوني، مرجع سابق، ص 476.

غوره و همته قل من يدركها من أولياء العباد، وقد كان آية في العلوم محققا لجميعها، وقد برز مذهبه القائم على الصدقة وتذكيرهم بالآيات والأحاديث الواردة في حقها وقد عمد إلى الاعتكاف والانقطاع لعبادة الله سبحانه وتعالى، فكان مقيما بإحدى المغارات يدعوا الناس إلى الصدقة والإحسان[1]، ولم يكن يشبه المتصوفين الآخرين في لبسهم بل كان حسن الملبس، وقام مذهبه على أن الوجود ينفعل بالموجود[2]، و كان يرى أن أساس استمرارية الحياة هو الصدقة والإحسان كما أنه دعا إلى ضرورة إيثار الغير على النفس حتى تضمن أن نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا، فراح يربط كل ما يجري في الحياة بالصدقة، وقد بنى مذهبه الصوفي بالصدقة على أساس قال سبحانه وتعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم : **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ}** صدق الله العظيم [النحل: آية 90. ومنه أن علم معنى ما قاله المولى عز وجل في هذه الآية من أن العدل والإحسان هما مشاركة للغير في المال وقد عمل على التصدق بكل ما عنده[3].

وقد استخدم القران الكريم في دعم مذهبه، وعمد على الدعوة لمنح الأموال للفقراء والمحتاجين وقد كان له اتباع ومؤيدون للأخذ عنه والاستفادة من مذهبه الصوفي القائم على الصدقة والإحسان، فكان يدرسهم بزاويته بمراكش التي حبسها عليه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، ومن تلامذته عبد الرحمان بن صقر الأنصاري (

[1] – أبو العباس المراكشي، الأعلام ممن حل مراكش و أغمات من الأعلام، ج1، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، سنة 1993م – 1998م ، ص 236.

[2] – زينب ملياني، مرجع سابق، ص 105.

[3] – أبو العباس المراكشي، مصدر سابق، ص 238.

ت 559 هـ - 1163 م) وعلي بن محمد بن هذيل (ت 564 هـ - 1168 م) [1].

ويمكن أن نقسم التيار السني الفلسفي إلى اتجاهين اثنين :

1-الاتجاه المعتدل : " السني المتفلسف الساذج تبنى أفكار الغزالي المبنية على مجاهدة النفس والزهد في كل شيء و الميل إلى العلوم الباطنية ، وقد ظل هذا الاتجاه معارضا للسلطة معارضة سلمية إصلاحية لم يتبنى العنف والثورة، وتميز بارتكازه على قاعدة المذهب المالكي ويأتي في طليعة هذا التيار ابن العريف الصنهاجي صاحب كتاب "محاسن المجالس" وأبو الحكم بن برجان، وفيما بعد تبنى الاتجاه ابن حرزهم، وطريقة ابن العريف (ت 481 هـ) الصوفية تنتهي إلى الجنيد كطريقة الغزالي مع اختلاف السند[2]، فطريقته إذن سنية جنيدية تقوم على الزهد في كل شيء ماعدا الله.

و تعتبر المقامات[3] مفيدة للسالك في أول طريق قصد الوصول إلى عين الحقيقة و يميز ابن العريف بين:

- العالم ويتعلق بالأعمال.
- المريد ويتعلق بالأحوال.
- العارف ويتعلق بالأحوال.

[1] - ابن عبد المالك، مصدر سابق، ص 369.

[2] - حسن جلاب، بحوث في التصوف المغربي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، سنة 1416هـ / 1995م، ص 27.

[3] - المقامات: هي العبادات والمجاهدات والرياضات التي يقوم بها المريد من أجل الاتصال وتتمثل في التوبة والورع و الزهد والفقر والصبر، انظر: الطوسي، مصدر سابق، ص 65.

وقد أثار ابن العريف إشكالية أثارها أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" وهي وجود علم ظاهر وعلم باطن أو الحقيقة أو الدين في معناها السليم، وقال بأن العلم الحقيقي هو من القائلين بوحدة الشهود وفيها إقرار بالوحدانية والشهود و الفناء[1]، هذا إلى جانب أنه من يصل إلى مقام الفناء في الله لا إرادة له ولا رجاء و لا شوق، ورفض ابن العريف للمقامات والأحوال[2] التي تحمل معاني مختلفة، كما دعا إلى ضرورة التزام المريد بحرفة لا تشغله عن الله عز و جل، و نجد ممن تتلمذ على يد ابن العريف أبا العباس أحمد ابن معد المعروف بابن الاقليشي (ت 550 هـ – 1155 م) و أبو عبد الله بن صقيل المرسي هو الأخر درس عند ابن العريف إلى جانب الوهراني المعروف بابن قرقول (ت 569 هـ – 1173 م) [3] ، وأما ابن برجان تلميذ ابن العريف فقد كان غزالي المغرب اشتهر بالتفسير بالإشارة وباتجاهه الصوفي السني ويمثل تيارا يوازي بين أجنحة المريدين ويكبح جماح المتطرفين[4] ، على الرغم من الطابع السلمي لتيارهما السني فإنهما أوذيا من طرف المرابطين فقد أرسلهما ابن أسود إلى مراكش مقيدين.

2-الاتجاه المتشدد:

وهو "اتجاه سني متفلسف متشدد" الذي تزعمه الثائران والمتطرفان محمد بن عبد الله بن هود الماسي بالمغرب، وأبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي بالأندلس

---

[1] – حسن جلاب، الدولة المرابطية "قضايا و ظواهر"، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، سنة 1416هـ – 1995م، ص 259.

[2] – الأحوال: تمثل الحالة النفسية التي يعيشها المريد أثناء تقدمه في المقامات السابقة وقد حصرها الطوسي في عشرة أحوال، للمزيد انظر: الطوسي، مصدر سابق، ص 70.

[3] – ابن العريف أبو العباس، مفتاح السعادة وطريق تحقيق السعادة، ط1، دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، و جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن، دار الغرب الاسلامي، بيروت،–لبنان، سنة 1993م، ص 220.

[4] – ابن الآبار، مصدر سابق، ج1، ص 151.

صاحب كتاب "خلع النعلين"[1]، عبر فيه عن أفكاره الداعية إلى العنف وعصيان ولي الأمر وهو من أتباع الطائفة التي تبنت تصوف المتفلسف، وأول أفكار الشيعية التي كان فيها الإمام الشيعي الفقيه والقائد الروحي والسياسي في أن واحد وقابلتها الولاية عند الصوفية والتي شملت فيما بعد الجانب الفقهي والسياسي وتطورت إلى دولة باطنية و أصبحت كل من الولاية والإمامة تعبران عن المعنى نفسه.[2]· ووظفوا أيضا فكرة علم الإمامة الشيعية في التشريع إلى جانب الكتاب والسنة فألغو بذالك الإجماع و القياس الذي يعتمدهما أهل السنة[3]. ونورد فيما يلي بعض أقطاب هذا التيار:

أبو الحسن أحمد ابن قسي (ت 546 هـ) كان بحصن أركش على نهر لكة وقد ثار في هذا الحصن ونواحيه أواخر دولة المرابطين، وقد وصفه المؤرخون بأبشع العبارات من خلال كتاب "المعجب"، ورد له الاعتبار ابن العربي في شرح كتابه "خلع النعلين" وذلك لالتقائهما في الفلسفة الإشراقية وحركته تستند على فكرة المهداوية[4].

وقد أكدت بعض التراجم أنه لم يكن من أصل عربي إسلامي بل ينحدر من أصل مسيحي لمدينة شلب[5]، وذلك لمحاولة إعطاء ثورته أبعادا أخرى تزوغ كل الحلول التي من شأنها أن تقضي عليها، حيث ادعى ابن قسي أن الله قد كلمه في المنام و أنه قد أمره بالاستيلاء على مدينة شلب والثورة على المرابطين[6]، أما فيما يخص

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 168.

[2] – مصطفى بن صباغ، السلطة بين التسنن و التشيع و التصوف ما بين عصري المرابطين و الموحدين، ج1، تقديم محمد بن عبود، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ، تطوان، سنة 1999م، ص97.

[3] – ابن خلدون، العبر، جزء6، مصدر سابق، ص 232 – 234.

[4] – بوتشيش، مرجع سابق، ص 164.

[5] – نفسه، ص 164.

[6] – مصطفى كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، ط2، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت– لبنان، سنة 1982م، ص 409.

التقية فقد اعتمد عليها الشيعة للتستر خوفا على أنفسهم وهذا ما أشار إليه إمامهم ووظفها المتصوفة بخوفهم على حياتهم وتستروا ورائها خوفا من السلطة، وهذا ما حدث مع ابن قسي الذي وراء قراءته لمؤلفات الغزالي في الظاهر والتحريض على الثورة ضد المرابطين في الباطن[1].

[1] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 06مايو 1991م، ص 171.

2-/تيار التصوف الفلسفي :

التصوف الفلسفي في الإسلام تصوف آخر يختلف في الطبع عن ذلك التصوف الذي رأيناه عند الغزالي و عند غيره ممن تقدمه من المتصوفة السنيين، والمقصود بالتصوف الفلسفي هو الذي يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية مستخدمين في التعبير عن مصطلحا فلسفيا استمدوه من مصادر متعددة، وقد ظهر هذا التصوف في الإسلام بوضوح منذ القرنين السادس و السابع هجريين وهما القرنان اللذان شهدا ظهور أقطابه واستمر بعد ذلك عند أفراد من متفلسفة الصوفية حتى عصر ليس ببعيد[1] .

ولما كان هذا اللون من التصوف ممتزجا بالفلسفة فانه قد تسربت بذلك فلسفات أجنبية متعددة يونانية وفارسية وهندية ومسيحية ، وذلك لا ينفي أصالته لأن صوفيته مثلوا هذه الثقافات وحافظوا في نفس الوقت على استقلاليتهم في مذاهبهم باعتبارهم مسلمين[2]، و هذا يفسر لنا جهودهم في الملائمة بين المذاهب الأجنبية عنهم والإسلام، وهي جهود واضحة في مصنفاتهم و التي غيروا كثيرا في معانيها الأصلية بما يتلاءم و مذاهبهم الصوفية الإسلامية، و ثمة طابع عام يطبع هذا التصوف الفلسفي و هو انه تصوف غامض ذو لغة اصطلاحية خاصة، و يحتاج فهم مسائله إلى جهد غير عادي و لا يمكن اعتباره فلسفة حيث أنه قائم على الذوق، كما لا يمكن اعتباره تصوفا خالصا لأنه يختلف عن التصوف الخالص في أنه معبر عنه بلغة فلسفية و ينحو إلى وضع مذاهب في الوجود أساسا[3].

و تعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوف حيث تسربت الفلسفة اليونانية، فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف، بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام إذا

---

[1] – التفتزاني، مرجع سابق، ص 187.

[2] – التفتزاني، نظرة إلى الكشف الصوفي، مجلة الفكر المعاصر، العدد 34 ديسمبر، ص 45.

[3] – أبو عبد الرحمان السلمي، المصدر السابق، ص98.

كان تأثير الفلاسفة قويا بعد ترجمة كتب اليونان التي فيها نظرية الفيض و الإشراق[1]، و التي لعبت دورا كبيرا و خطيرا في فكر التصوف خاصة عند السهروردي و بن عربي، و قد ذكر كثير من الباحثين أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل أنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود و الحلول، و قد أخذ هؤلاء نظرية الفيض و المحبة و الإشراق و المعرفة مع الآراء الأخرى التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية الحديثة[2] .

و لقد بدأت بوادر التصوف الفلسفي في عبارات الصوفية أمثال ذي النون المصري و أبي يزيد البسطامي، و لكن سرعان ما انتهى القرن الثالث هجري و دخل القرن الرابع هجري و ما بعده فقد تحول التصوف إلى شكل جديد لدخول النظريات الفلسفية فيه ، و ربما كان أول السابقين إلى هذا الميدان الحسين بن منصور الحلاج (ت 309 هـ) .

وقد حصر ابن خلدون في مقدمته أربع موضوعات رئيسية عنى بها المتصوفة المتفلسفة و هي:

- المجاهدات وما يحصل في الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحل تلك الأذواق التي تصير مقاما يترقى منه إلى غيره .
- الكشف والحقيقة المدركة في عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش، والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وترتيب الأكوان في صدور.
- التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات (خوارق العادات)

[1] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 152.

[2] – التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 185.

ألفاظ موهمة الظاهر صدرت في الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات لتشكل ظواهرها[1].

كما أن أولائك المتفلسفة زادوا على السنيين في أمور، و هي أنهم أصحاب نظريات أو مواقف من الوجود بسطوها في كتبهم أو أشعارهم، و أنهم أسرفوا في الرمزية إلى حد بدا معه كلامهم غير مفهوم للغير، إضافة إلى اعتزازهم الشديد بأنفسهم و بعلومهم و هو اعتزاز لم يلازمهم كلهم فقد لزم أكثرهم على الأقل[2].

وقد انقسم التيار الصوفي الفلسفي بالغرب الإسلامي عند ظهوره إلى اتجاهات وهي:

أ-الحراليون :

وتنسب هذه الفرقة الصوفية لأبي الحسن علي الحرالي (ت 637هـ - 1239 م)[3]، التجيبي وهو من أصول أندلسية غير أنه ولد ونشأ في مراكش، وتعلم على أشهر علمائها وعرف عنه تأثره بالسهروردي (ت 1183 م) وابن سينا (ت 1037 م)، وقد تبنى أفكار مدرسة التصوف الاشراقي، وينبغي لنا أن نشير إلى طوالع الفلسفة الاشراقية التي ظهرت أولا في نظرية المعرفة عند أفلاطون الذي كانت فلسفته ذات بعدين، الأول عرفاني تمثله قوة الربوبية وروح التأله والاتصال بقدس الإلهية، والثاني عقلي يتمثل في قوة الاستدلال العقلي .

ونذكر من طلبة الحرالي أبو الفضل القرطبي (ت 1263 م) [4]، وأبو الحسن المليانى بن أساطير (ت 1276 م) الذي كان يدرس كتاب " الإشارات والتنبيهات لبن

[1] – ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د ت ، ص 473.

[2] – التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 192.

[3] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 155.

[4] – الغبريني، مصدر سابق، ص 227.

سينا، وأبو زكريا بن محجوبة القريشي السطيفي(ت 1278م): الذي له مؤلف "شرح أسماء الله الحسنى"وبعض التقييدات في التصوف.

وبعد رحيل الحرالي إلى المشرق بعد أن طرد من بجاية[1]، عمل تلامذته على نشر نظريته الاشراقية، وقد كانوا يعرضون أفكارها لطلبتهم مستعينين بشرح كتاب "الإشارات والتنبيهات "لابن سينا.

ب- الوحدة المطلقة:

وينقسم هذا الاتجاه إلى قسمين :

1-الشوذية : تنسب هذه الطريقة إلى أبي عبد الله الشوذي الحلوي الذي توفي أوائل القرن الثالث عشر ميلادي، الذي كان في مرسية و انتقل إلى تلمسان من أجل ممارسة مذهبه الذي كان يكتمه[2].

وبوفاته حل محله أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل الذي اخذ طريقه عن إبراهيم بن محمد بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 1214 م) الذي كان احد تلامذة الشوذي، و قد دخل أبو عثمان بجاية خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي، و قد كان أتباع هذه الطريقة يقلدون شيخهم من خلال إتباع أسلوب التخفي، و قد توسعت هذه الطريقة بفضل أبي عبد الله محمد بن الخميس التلمساني (ت 1309 م) الذي كان متأثر بتجربة الاتصال بعالم الشهادة عن طريق التأمل العقلي.
كما أدى أسلوب الانغلاق و العزلة و نفي الصحة عن العلوم الشرعية في ذاتها آلة حصر الشوذية بفئة محدودة[3].

[1] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 156.
[2] –نفسه، ص 147.
[3] – طاهر بونابي، المرجع السابق، ص 148.

2- السبعينية :

تنسب إلى أبي محمد عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين (ت 1270 م) الذي ولد بالأندلس و أخذ بها العلوم و الآداب الدينية و العقلية، كما اخذ التصوف على طريقة ابن الدهاق[1]، عرف باستعمال الألغاز و الرموز و نظم الشعر الذي بين فيه المراحل التي يمر بها السالك ليحقق الوحدة بالله، توجه إلى سبتة و اضطر إلى مغادرتها بسبب ضغط الفقهاء فانتقل إلى بجاية، و على الرغم من أن العصر الذي عاش فيه ابن سبعين عرف بانحطاط في علم الكلام و التصوف إلا انه عمل على تقديم فلسفة خاصة مبنية على مطالعته المعمقة و اعتقاداته الشخصية الأصيلة، و نظرا لارتقائه في علم التصوف فقد اشتهر ابن سبعين في العالم الإسلامي و حتى في أوربا، مما جعل بعض المسيحيين و الباباوات يستدعونه لإيضاح بعض المسائل الفلسفية التي شغلتهم[2].

و نذكر ممن كان يرافق ابن سبعين، أبو الحسن النميري الششتري (ت 1269 م) الذي عمل على تكوين أتباع له، وبذلك كان قد شكل التيار الثاني للوحدة المطلقة الذي خرج من رحم السبعينية، و ذلك أن الكثير من طلبته فضلوه على ابن سبعين .

ج- اتجاه وحدة الوجود:

و كان رائده متصوف أندلسي شهير حمل لواء التصوف الفلسفي و بلغ معه شئنا كبيرا، و هو محمد بن علي بن محمد الطائي المعروف بابن عربي(ت 638 هـ-1240م) ، و يعد ابن عربي أول من وضع وحدة الوجود في التصوف الإسلامي و قد كان دخول وحدة الوجود في تلمسان ممثلا في أبي العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحيم الذي جاء من اشبيلية إلى تلمسان خلال القرن الثاني عشر ميلادي[3]، و الذي بدأ نشاطه بالدعوة إلى الزهد ثم قال بوحدة الوجود، لكنه لم يتمكن من ذلك كما كان الأمر مع أبي الربيع

[1] – التفتزاني، ابن سبعين و فلسفته الصوفية، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1973م، ص 38.

[2] – طاهر بونابي، مرجع سابق، ص 150.

[3] – الغبريني، مصدر سابق، ص 239.

عفيف الدين بن سليمان التلمساني (ت 690 هـ) الذي جاء بعده و عرف بتأثره بفلسفة ابن عربي، و على الرغم من هذا كله فان اتجاه وحدة الوجود لم يتمكن من أن يحجز لنفسه مكانة مضمونة بين الصوفية و ذلك بسبب سيطرة التيارات الصوفية بالقرن السابع هجري كالتيار الاشراقي و تيار الوحدة المطلقة الممثل في السبعينية[1].

و في الأخير يمكننا القول أن ظهور التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي جاء وراء نقل أفكار الفلسفة الشرقية، و قيام مجموعة من المتصوفين بالتفنن فيها و الإبقاء على الطابع الإسلامي بحيث أنها لم تفقد خصوصيتها رغم المواقف المتعددة و المشبوهة من هذا التيار الجديد .

[1] – الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 154 – 158 .

المبحث الثالث :خصائص ومظاهر التأليف الصوفي خلال القرن 05هـ،09هـ

1- مجالات التأليف

2- مصادر ومبادئ التأليف

1/مجالات التأليف

تقديم:

تعددت مجالات التأليف في بلاد الغرب الإسلامي وخاصة في مجال التصوف بداية من القرن 05هـ إلى غاية القرن 09هـ، حيث انتشر التصوف خلال هذه الفترة بصفة كبيرة في بلاد الغرب الإسلامي مما شجع علمائها على الكتابة والتأليف فيه، واختلفت مجالات التأليف وشملت مختلف الميادين فنجد مؤلفات احتوت على الجانب الديني كالفقه والتفسير، ومؤلفات أخرى عالجت الجانب السلوكي أو الأخلاقي، بل تعدا التأليف حتى شمل الجانب الاجتماعي والسياسي.

وسأتطرق إلى ذكر بعض المؤلفات التي زخرت بها بلاد الغرب الإسلامي في التصوف حسب ما تناولته كتب التراجم، وأهم الأعلام الذين اشتهروا بالتأليف في علم التصوف.

أ-الجانب الديني:

تنوع التأليف في التصوف وقد شمل جميع المجالات كما ذكرنا سابقا ونجد بأنا أغلب المؤلفات تناولت الجانب الديني، بصفة كبيرة لأن التصوف من بين المذاهب الدينية التي انتشرت في بلاد الغرب الإسلامي، هذا ما شجع أعلام التصوف على التأليف فيه فنجد مثلا ابن العربي.[1] الحافظ المستبحر خاتم علماء الأندلس ، حيث اختلف المؤرخون في مؤلفات ابن العربي في التصوف، فمنهم من قال بأنه كتب حوالي 251 مؤلف ومنهم من نسب إليه حوالي 400 مؤلف وهذا حسب ما ذكره الشعراني توفي عام 973هـ في كتابه اليواقيت والجواهر[2]، تعددت مؤلفاته وقد اشتهر بمؤلفين في التصوف هما الفتوحات المكية كتبها بخطه سنة 629هـ وأعاد كتابته سنة 636هـ، وكتاب آخر بعنوان فصوص الحكم كتبه سنة627هـ[3].

---

[1]-ابن العربي:يلقب بأبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الاشبيلي،ولد في مرسية بالأندلس سنة 560هـ وت بها سنة 638هـ.أنظر:ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق الدكتور إحسان عباس،المجلد05،دار صادر بيروت ،سنة 1397هـ،1977م ،ص296.

[2]-عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني،اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر،الجزء الأول،طبعة جديدة ومصححة،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،ص10.

[3]-أبو العلاء العفيفي، فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن العربي،دكتور في الفلسفة من جامعة كمبردج،دار الكتاب العربي بيروت،ص08،07.

حيث تعد الفتوحات من أشهر النصوص الصوفية في الإسلام بل لعلها الأشهر على الإطلاق، حيث يحتوي على ثلاث أجزاء ففي هذا الكتاب يقوم بالتفسير وشرح بعض المسائل والآيات القرآنية، والدليل على ذلك شرح قوله تعالى{إن عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}[1]، يفسر حمل الأمانة كان لمجرد الجهل من الحامل وهو الإنسان فعلمت الأرض من ذكر قدر الأمانة، وأن حاملها على خطر فإنه ليس على يقين من الله أن يوفقه لأدائها إلى أهلها، وعلمت مراد الله بالعرض أنه يريد ميزان العقل فكان عقل الأرض والجبال والسماء أوفر من عقل الإنسان[2].

كما ألف كتاب الفصوص وهو من أعظم مؤلفاته كلها قدرا وأعمقها في تشكيل العقيدة الصوفية في عصره، فقد قدر هذا الكتاب مذهب وحدة الوجود وفي صورته النهائية ووضع له مصطلحا صوفيا كاملا، استمده من كل مصدر كالقرآن والحديث وعلم الكلام، والفلسفة المشائية والأفلاطونية ولكنه صبغ هذه المصطلحات بمعنى جديد يتفق مع روح مذهبه العام[3].

كما يعد مؤلفين الفتوحات والفصوص لابن العربي بأكثر من أنه موسوعة خاتمة في العلوم الدينية والتصوف وعلوم الأوائل وهو عرض شامل للثقافة الدينية.[4]، ومن بين المؤلفين المغاربة الذين كانت لهم مؤلفات تصب في الجانب الديني نجد كذلك **‹ابن برجان ت سنة 536هـ›**[5]، كما ينسب المترجمون له ثلاث مؤلفات كتاب في التفسير تحدث عنه ابن الآبار وابن خلكان، وكتاب في تفسير أسماء الله الحسنى ذكره أبو العلاء ألعفيفي أن المخطوطين تضمن شرح معاني أسماء الله الحسنى وترجمان لسان الحق المبثوث في

---

[1]-ابن العربي الحاتمي الطائي،الفتوحات المكية ،نسخة المؤلف موجودة بدينة قونيا ،طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، تتوفر على أربع أجزاء،ص 186-189.

[2]-ابن عربي،نفسه،ج03،ص3-8.

[3]- محي الدين بن العربي: فصوص الحكم، بقلم أبو العلاء العفيفي،ج1 ،دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ص5-14.

[4]- ابن العربي ،شرح مشكلة الفتوحات المكية.

[5]-ابن برجان: هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان اللخمي،كان عبدا زاهدا وله تفسير القرآن العظيم وأكثر كلامه على المقامات والأحوال ت سنة536هـ بمراكش.أنظر:ابن خلكان،المصدر السابق ،الجزء04،ص236. أنضر كذالك،خير الدين الزر كلي ،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الآبري إغناطيوس ،ط04،دار العلم للملايين بيروت لبنان،سنة 1986م،ص06.

الأمر والخلق كما يتحدث كتاب فوات الوفيات عن مؤلفين له تفسير القرآن وشرح أسماء الله الحسنى[1]، ومن أهم المؤلفات التي تركها هذا المؤلف كتاب يسمى(تنبيه الإفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات والأنباء العظام)، وهو من أهم التفاسير التي أنتجها علماء الغرب الإسلامي، كلا الكتابين لابن برجان متواجدين بصفة مخطوط بخزانة الرباط حيث تتمحور مؤلفاته حول التفسير والشرح لأسماء الله الحسنى[2].

ومن بين الأعلام الذين كانت لهم مؤلفات تحدثت عن الجانب الديني نجد **‹أبي محمد عبد الحق الاشبيلي›**[3]، ت سنة 581هـ له عدة مؤلفات منها الأحكام الكبرى والصغرى وله كتاب حول الوعظ والزهد بعنوان العاقبة، وكان له ديوان شعري في الزهد والوعظ ذكره الغبريني في الدراية كما تطرق له الزركلي في الأعلام ويذكر له الكتبي في كتابه فوات الوفيات بأن له مؤلف في الزهد[4].

ومن أهم مؤلفاته الأحكام الشرعية الكبرى متواجد يعتبر هذا الكتاب من أمهات كتب أحاديث الأحكام،حيث جمع فيه المؤلف رحمه الله بين فقه البخاري في التبويب والاستنباط وحسن سياق المسلم للأحاديث، كما أطلق عليه ابن قطان تسمية (بيان الوهم والإيهام)[5]، حيث تطرق في كتابه إلى ذكر فظل فظل الصلاة وأحكامها والغسل والطهارة ولكل خصص لها جزء من كتابه شارحا أحكامها بالتفصيل، وتحدث عن حقيقة الإيمان والإسلام[6] .

ونذكر علامة آخر من علماء المغرب الإسلامي الذين اشتهروا بالتأليف وهو**‹إسماعيل المراكشي›** المكنى بالزروق[7](ت 899هـ)اشتغل بالتصوف والتوحيد فأخذ الرسالة القدسية وعقائد الطوسي على يد الشيخ عبد الرحمان المجدولي، له عدة مؤلفات منها الأصول في الفصول، وتحفة المريد ومزيل اللبس عن أدب

---

[1]-محمد ابن شاكر الكتبي،فوات الوفيات،تحقيق إحسان عباس،ط01،دار صادر بيروت،سنة 1973م،ص274.

[2]-نفسه،ص277.

[3]-أبي محمد عبد الحق الاشبيلي:المعروف بابن خراط المتوفى سنة581هـ سكن مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية فنشر بها علمه وصنف التصانيف.أنظر:أبو العباس الغبريني،مصدر سابق،ص41-43.

[4]-خير الدين الزر كلي،مصدر سابق،ج 1 ،ص118.

[5]-عبد الحق الاشبيلي،الأحكام الشرعية الكبرى ،تحقيق أبي عبد الله حسن بن عكاشة ،المجلد 01،مكتبة الرشد بالرياض،ص4-6.

[6]-عبد الحق الاشبيلي،مرجع سابق،ص278.

[7]-الإمام العلامة المحدث الفقيه الزاهد القطب الغوث العارف بالله الرحلة الحاج المجاور ،المشهور ذو التصانيف العديدة والمناقب الحديثة ولد في شهر محرم سنة846هـ وت سنة899هـ.أنظر:ابن مريم،مصدر سابق،ص45،46.

أسرار القواعد الخمس، وله رسائل كثيرة إلى أصحابه وكلها مشتملة على حكم ومواعظ وآداب ولطائف التصوف.

حيث قال فيه الشيخ أحمد بابا وهو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين بين الحقيقة والشريعة وظهرت له كرامات عديدة، توفي رحمه الله بتكرين من قرى مسراته من عمل طرابلس الغرب في صفر عام(899هـ1549م)[1]، برع هذا العالم في الفقه والتصوف والأصول أخذ التصوف عن القوري[2] له عدة تصانيف لها أهمية كبيرة في الجانب الديني نذكر منها(شرح الأسماء الحسنى)جمع فيه بين علماء الظاهر والباطن، وكذالك كتاب (قواعد الصوفية).

حيث قال الاشتراك في الأصل يقضي بالاشتراك في الحكم والفقه والتصوف ، شقيقان في الدلالة على أحكام الله وحقوقه فلهما حكم الأصل الواحد في الكمال والبعض[3]، ومن بين المؤلفين كذالك **‹أبو الحسن الششتري›** ت سنة668هـ[4]، الفقيه الصوفي ألف العديد من الكتب على المذهب الصوفي منها (المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية" وكتاب "المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية) وغيرها هذا ما ذكره المقري[5] ، كما يذكر الزر كلي بأن من أهم مؤلفاته(العروة الوثقى في بيان السنن وما يجب أن يفعله المسلم)و(المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية) وله كذالك ديوان شعري في التصوف[6] ، وقال عنه الغبريني وشعره في غاية الانطباع والملاحة وتواشيحه و مقفياته ونظمه الهزلي الزجلي في غاية الحسن[7] .

---

[1]–ابن مريم،نفسه،ص46.

[2]–القوري محمد بن القاسم أبو عبد الله اللخمي المكناسي المغربي ويعرف بالقوري،نسبة للقور بلد قريب من اشبيلية مفتي المغرب الأقصى.أنظر:محمد بن عبد الرحمان السخاوي شمس الدين،الضوء اللامع لأهل القرن09هـ،ط01،الجزء08،دار الجيل بيروت،سنة1992م،ص280.

[3]–زين الدين محمد عبد الرءوف المناوي،مصدر سابق، الجزء 03، ص167،166.

[4]–أبو الحسن الششتري:علي بن عبد الله النميري الششتري المعروف بأبي حسن ولد سنة 610هـ وت بدمياط سنة668هـ ،حيث اختلف في سنة وفاته فالمقري يذكر تاريخ وفاته سنة667هـ.أنظر:خير الدين الزر كلي ،الأعلام ،الجزء الرابع،ص301.

[5]–المقري ،مصدر سابق،ج07،ص161.

[6]–خير الدين الزر كلي،مصدر سابق،ص302.

[7]–الغبريني،مصدر سابق،ص239–241.

ومن بين المؤلفين الذين تم ذكرهم في كتب التراجم(**أبو حسن الشاذلي**)[1] ت سنة656هـ تفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة فنسب إليها، من أهم مؤلفاته (رسالة آمين في آداب التصوف) ونسب إليه الشعراني في كتاب الطبقات الجزء الثاني عدة مؤلفات منها(نزهة القلوب وبغية المطلوب)[2].

و الزركلي نسب إليه الكثير من المؤلفات التي كتبها حول التصوف نذكر منها (السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل) وكتاب آخر بعنوان (المفاخر العليا في المآثر الشاذلية)[3]، ومن بين المؤلفين الذين اشتهروا بالتأليف في التصوف في الغرب الإسلامي (**محمد ابن زغدان**)[4] ، يذكر المؤرخين سنة وفاته كانت عام 882هـ وينسب علماء التراجم إلى محمد ابن زغدان العديد من المؤلفات، حيث برز في التأليف الصوفي فكانت له عدة تصانيف منها(مراتب الكمال في التصوف)و(شرح حكم ابن عطاء الله لسكندري) وكتاب آخر بعنوان(قوانين حكم الإشراق إلى صوفية جميع الآفاق)[5].

ب- الجانب السلوكي:

لقد تعددت المؤلفات الصوفية في بلاد الغرب الإسلامي وتنوعت مجالاتها، كما سبق وذكرنا أهم التآليف التي تحدثت في طياتها على الجانب الديني كالفقه والتفسير ، فإن تلك المؤلفات لم تتخلى عن تناول الجانب السلوكي الذي يعتبر جانب هام من التصوف.

ومن بين المؤلفات التي تحدثت عن الجانب السلوكي أو الأخلاقي نجد كتاب (شفاء السائل في تهذيب المسائل) لابن خلدون[6]، لقد ظهر هذا الكتاب مع بداية القرن 08هـ ،حينما ظهر التصوف الشعبي في

---

[1]-الشاذلي:علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي رأس الطائفة الشاذلية،من المتصوفة وصاحب الأوراد المسماة"حزب الشاذلي" ولد في بلاد غماره بريف المغرب ونشأ في بني زرويل قرب شفشاون.أنظر:الزركلي،مصدر سابق،ج04،ص301.

[2]-الشعراني ،الطبقات الكبرى ،ج02،ص296-303.

[3]-خير الدين الزركلي،نفسه،ص302.

[4]-ابن زغدان:محمد بن أحمد بن محمد أبو المواهب بن الحاج التونسي،ويعرف بابن زغدان صوفي خير كلامه مسموع وحديث قدره مرفوع ولد سنة820هـ بتونس ،حفظ القرآن وكتب أخرى أخذ العربية عن أبي عبد الله الرملي والفقه عن البرزالي.أنظر:عبد الرءوف المناوي،مصدر سابق،ج01،ص242.والطبقات للشعراني ،ج 02،ص67.

[5]-خير الدين الزر كلي،نفسه ،الجزء01،ص244.

[6]-ابن خلدون:هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن الحسن بن جابر بن عبد الرحيم الحضرمي الاشبيلي،اشتهر بابن خلدون نسبة إلى جده التاسع خالد بن عثمان ولد في تونس في أول رمضان سنة 732هـ،حفظ

بلاد المغرب الإسلامي فألف هذا الكتاب لمحاربة البدع والخرافات التي حلت على المذهب الصوفي، كما يوضح هذا الكتاب الطريق الذي يسلكه الصوفي السني[1]، كما أوضح الكتاب في ثناياه كيفية المجاهدة وفقه الظاهر وأعمال الباطن، ويجيب على العديد من الفتاوى والمسائل الفقهية وأمور سلوكية وأخلاقية في التصوف، وتطرق الكتاب إلى جانب من الأخلاق التي يلتزم بها الصوفي كقضية التزام المريد بالشيخ ومدى هذا الالتزام وكيفيته وأدبه وسلوكه[2].

ومن بين الذين تحدثت مؤلفاتهم عن الجانب السلوكي‹**أحمد بن محمد بن عيسى البرنس**›الشهير بالزروق من منطقة فاس(لقد سبق وقمت بتعريفه في الجانب الديني)من بين مؤلفاته في السلوك كتاب جليل في موضوعه فيه مائة فصل،بين فيه البدع التي يفعلها الفقراء الصوفية وكتاب (تحفة المريد)ذكرهم المناوي[3]، وله مؤلفات في محاربة البدع التي ظهرت مع ظهور التصوف الشعبي في القرن 08هـ،من بينها كتاب(النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة)وكتاب(عدة المريد الصديق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت)[4].

وكذالك ‹**ابن عباد الرندي**›[5] ت سنة792هـ له العديد من المؤلفات التي تناولت الجانب السلوكي في التصوف،منها الرسائل الكبرى، الرسائل الصغرى، ولديه رسالة أو فتوى في سلوك الطريق الصوفي يبين في هذه الرسالة الطريق الحقيقي للتصوف ، ومؤلف شرح فيه (الحكم العطائية) وهو عبارة عن مجلد قديم معطياته غير واضحة ، تطرق فيه إلى شرح بعض الحكم التي يتميز بها السلوك الصوفي[6].

القرآن في سن مبكرة وتلقى علوم كثيرة توجه إلى الجزائر عام766هـ،وتولى أعلى منصب ببجاية وهي الحجابة"رئيس وزراء".أنظر:الأعلام ،للزر كلي ،الجزء03،ص330.ويعرفه المقري،في الجزء04،ص414.

[1]–ابن خلدون،شفاء السائل ،مصدر سابق،ص78،79.

[2]– نفسه،ص208،209.

[3]– المناوي،مصدر سابق،ص168.

[4]–ابن مريم، مصدر سابق،ص46،47.

[5]–ابن عباد الرندي:متصوف كبير من أهل رندة بالأندلس تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وغيرهما واستقر به الحال خطيبا للقرويين بفاس توفي سنة 792هـ.أنظر:الأعلام للزر كلي،الجزء05،ص299.والمقري ،نفح الطيب،الجزء 07،ص337.

[6]–خير الدين الزر كلي،مصدر سابق،ص301.

‹**ابن قباب**›[1] ت سنة 778هـ المشهور أن له فتوى تعرف بفتوى أبي العباس القباب في سلوك طريق الصوفية، حيث يبين فيه الالتزام بالشيخ والتزام المريد بأوامره ويجيب في هذه الرسالة على العديد من الأسئلة في الشأن الصوفي، ويبين لنا صفات الشيخ والكرامات التي يتميز بها الصوفي عن غيره وأخلاقه التي يتصف بها[2].

ج- الجانب الاجتماعي والسياسي:

كثر التأليف في الغرب الإسلامي وتعددت مشاربه وقد اشتمل التأليف الصوفي على مجالات عديدة من بينها الجانب الاجتماعي والسياسي،حيث برز العديد من الأعلام الذين تناولوا التأليف الصوفي فيما يخص الجانب السياسي والاجتماعي ومن بينهم نجد‹**التادلي**›ت سنة 617هـ[3]، من أهم مؤلفاته نجد كتاب"التشوف إلى رجال التصوف" وتضمن هذا الكتاب تراجم لأهم الأولياء وتقسيمهم إلى طبقات، حيث تكلم عن أحوال الصوفية ، وأهم الكرامات التي ظهرت فيهم، كما يعتبر التشوف من المؤلفات التي تعتبر تصويرا تاريخيا واجتماعيا لتراجع دور الدولة في حماية المجتمع الإسلامي[4]، لذالك يعد كتاب التشوف التشوف والدعامة والمستفاد من بين المؤلفات التي تناولت تصويرا تاريخيا واجتماعيا، لتراجع دور الدولة في حماية المجتمع ما بعد العقاب سنة 609هـ،1212م، بحيث نجد أن نمط كتابتها سردية الساعية إلى تعزيز

---

[1]-ابن قباب:أبي العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان الجذامي الفاسي المشهور بابن قباب،الفقيه المالكي ولد بفاس سنة 724هـ تولى القضاء والفتوى بفاس وتولى الخطابة في الجامع الأعظم ت سنة778هـ.أنظر:الأعلام ،للزركلي،ج01،ص197.

[2]-أبي العباس القباب،فتوى القباب في سلوك طريق الصوفية،جزء من الرسالة،من ص117-203.

[3]-التادلي:يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي أبو الحجاج المعروف بابن الزيات توفي في سنة 627هـ،1230م،أديب وقاضي مالكي من أهل تادلة بالمغرب من أهم آثاره التشوف إلى رجال التصوف.أنظر: الدراية للغبريني،ص197.

[4]- التادلي،مصدر سابق،ص49-52.

دور الحاكم وتعويضه بالنموذج الديني البسيط إلى الاستعانة بالخيار والبديل الصوفي، القائم على قيم التآزر والتضامن الاجتماعي أو ما يسمى حاليا بالاقتصاد الاجتماعي [1].

لذالك نجد الغالبية العظمى المترجم لهم سواء في المستفاد أو التشوف أو الدعامة مع محيطها، وأحلت نفسها محل رموز السلطة وأعوانها فابن زيات والتميمي اشتركا في تغييب الألقاب السياسية الموحدية، من قبيل الموحدين والخليفة والإمام واستعاضوا عنها باسم المصامدة[2].

‹عبد الكريم التميمي›ت سنة 604هـ[3] حيث يذكر في كتابه الممارسة الصوفية لابن تومرت حسب الاستوغرافية الموحدية، ويتحدث كذالك عن السياسة القمعية الاحترازية اتجاه المتصوفة فترة"عبد المؤمن" ، حيث تحدث عن ثورتين هامتين ضد سلطة الموحدين الأولى وهي ثورة ابن هود وثورة ابن قسي.

كما يبين لنا في ثنايا الكتاب موقف السلطة الموحدين من المتصوفة خاصة بعد الانحلال الموحدي والشرخ الهائل التي أحدثته حصن العقاب سنة 609هـ[4]، كما تناول هذا الكتاب الحديث عن الأصل الاجتماعي للأولياء والرصيد الاجتماعي لهم، كما خصص جانب فيه يبين الدور العلمي والتعليمي وإسهامهم في مجال التربية والتعليم داخل المجتمع[5].

---

[1]–محمد قبلي،مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،طبعة01،دار توبقال للنشر بالقدير الدار البيضاء، سنة 1987م،ص72–74.

[2]–محمد قبلي،نفسه، ص70–76.

[3]–التميمي:أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم التميمي الفاسي نسبه يدل على أنه عربي، ينتمي إلى قبيلة تميم التي دخلت بلاد المغرب والأندلس في وقت مبكر،وتعد أسرة التميمي من الأسر الفاسية الشهيرة أو النبيهية ولد سنة540هـ وت سنة 604هـ.أنظر:ابن الآبار ،التكملة لكتاب الصلة،الجزء01،ص374–375.

[4]–حصن العقاب:حدثت في صباح الإثنين 15صفر609هـ،الموافق ل16جويلية 1212م معركة العقاب هجوم شنه النصارى بقيادة ألفونش على الجيش الإسلامي،الذي كان قائده عبد الله الملقب بالناصر.أنظر:أبو أدهم عبادة بن عبد الرحمان،القطوف الدواني في التاريخ الإسلامي،ط01،منشورات جامعة القاهرة،سنة1998م،ص132.

[5]–عبد الكريم التميمي،المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد،طبعة01،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان،ص201–210.

والمؤلف الثالث هو كتاب بعنوان"دعامة اليقين في زعامة المتقين"لصاحبه«**أبو العباس ألعزفي**»ت سنة633هـ[1] تناول هذا الكتاب حقيقة الكرامة لدى الصلحاء والصوفية والكرامة كظاهرة اجتماعية، يعتبر هذا المؤلف عبارة عن(مناقب) من بين الكتب التي قامت بوصف المناقب و الصلحاء في بلاد المغرب.

كما خصص جزءا خاصا تكلم فيه عن كرامة الشيخ أبي يعزي الذي ت عام572هـ فعدد له أنواع المكاشفات والأخبار بالغيوب، وقام بذكر جوانب من أخلاق الصوفية وصدقهم، ووصف لنا الولاية والولي ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، وهذا المؤلف يبين لنا المناقب و الصلحاء ومنزلتهم في المجتمع في بلاد الغرب الإسلامي.[2].

التصوف وتعددت مشاربها، حيث اشتمل التأليف على مختلف الجوانب الدينية والسلوكية ومما سبق نستنتج بأن بلاد الغرب الإسلامي زخرت بعدد كبير من التأليف في والاجتماعية والسياسية، ويتبين لنا بأن التصوف رغم ظهوره في بداية الأمر في بلاد المشرق الإسلامي إلا أنه لم يشتهر التأليف فيه، ولكن لما انتقل التصوف إلى بلاد الغرب الإسلامي كثرت العناية به فأفردوا لهذا المذهب تآليف كثيرة، ساهم العديد من العلماء والصوفية في كتابتها ونشرها.

---

[1]–العزفي:الشيخ الفقيه العالم العامل الورع الفاضل الضابط الناقد بقية المحدثين،أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي ألعزفي ألسبتي ولد في رمضان سنة557هـ وتوفي سنة633هـ وقد صنف مؤلفات عدة تدل على منزعه الصوفي.أنظر :الأعلام،للزر كلي،الجزء03،ص313.

[2]–أبو العباس العزفي،دعامة اليقين في زعامة المتقين ،تحقيق أحمد توفيق ،مكتبة خدمة الكتاب شارع علال بن عبد الله،ص23–66.

2/ مصادر ومبادئ التأليف

تقديم:

تنوعت مصادر ومبادئ التأليف الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي حيث استقى التأليف الصوفي من عدة مصادر، ويعتبر المنبع الأساسي الذي قام عليه التأليف الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي المنبع الديني، القائم على الكتاب والسنة والشريعة كما كان مصدرا للتصوف في المشرق كذالك، ولكن هذا لا ينفي حقيقة وجود مصادر أخرى اعتمد عليها التأليف الصوفي المتمثل في المصادر الفلسفية، والثقافات الدخيلة التي انتقلت عبر الترجمة كالأفلاطونية المحدثة وغيرها.

كما اعتمد التأليف على العديد من المبادئ والأسس الفكرية فمنهم من كان ينظر إلى التصوف، بأنه علم عقلي فلسفي ظهر نتيجة الثقافات الدخيلة، ومنهم من نظر إليه من زاوية أخرى بأنه علم الحقائق و الشرع الذي اتخذ من الكتاب والسنة منهجا له .

المعروف تاريخيا أن التصوف ظهر في بداية الأمر في المشرق الإسلامي قبل أن ينتقل إلى بلاد الغرب الإسلامي، ونستطيع القول بأن المصدر أو المنبع الأساسي الذي اعتمده المؤلفون في الكتابة على التصوف، يعود إلى القرآن والسنة أي المصدر الديني القائم على الشرع وهذا في القرون الأولى لظهور التصوف،بعد ذالك دخلت الفلسفة إلى المشرق عبر حركة الترجمة وامتزاج الثقافات فأثرت الفلسفة أو العلوم العقلية على المعتقد الديني،فتأثر البعض من علماء الصوفية بها واعتمدوا عليها في التأليف.

لهذا يمكن القول بأن مصادر التأليف الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي تمثلت في المصدر الديني الذي يتحدث عن التصوف السني، والمصدر الفلسفي الذي تحدث عن التصوف الفلسفي، وتأثير مصنفات

المشارقة على علماء الغرب الإسلامي‹**كالحارث المحاسبي**›ت سنة 243هـ له عدة مؤلفات تكلمت عن التصوف السني المعتدل من بينها(**آداب النفوس**)[1]، كما كانت له مؤلفات كثيرة عن الزهد والرد على المخالفين.

من بين من تأثر بكتابته من الأعلام الصوفية في الغرب الإسلامي الأندلسي ‹ابن قسي› الذي تناول في مؤلفاته طريق الصوفي ومآثره، وتحدث عن الكرامات والأحوال الذي اتصف به التصوف السني المعتدل، وتأثر به ‹ابن العريف› (ت سنة520هـ) له كتاب مفتاح السعادة[2].

ونجد من بين المصادر المشرقية التي تأثر بها التأليف الصوفي في الغرب الإسلامي ‹أبو القاسم الجنيد› ت سنة 297هـ من أقطاب التصوف السني المعتدل من بين مؤلفاته(التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي)ومؤلفات أخرى منها كتاب (الميثاق،الفناء) تأثر بمؤلفاته أبو حامد الغزالي الذي يعتبر أهم مصدر للتصوف بالغرب الإسلامي[3].

أما فيما يخص المصدر الفلسفي أو التصوف الفلسفي نقله أعلام التصوف بالغرب الإسلامي، نتيجة تأثرهم بالمصنفات المشرقية التي تناولت في سياقها التصوف الفلسفي ومن بين أقطاب التصوف الفلسفي في المشرق، نجد ‹أبو يزيد البسطامي› ت سنة 261هـ من بين مؤلفاته كتاب(تأويل الشطح) تأثر بمؤلفاته ابن عربي صاحب كتاب(الفتوحات)[4].

وكذالك‹الحلاج›ت سنة 309هـ جل مؤلفاته تحتوي على مضامين فلسفية و نادى بفكرة الحلول والإتحاد، وهو الذي جاء بالقول بوحدة الوجود كما كان يقول المسيح، فأدخل أمور فلسفية تبعد الزاهد عن الشرع وتدخله في أمور تحل بخلق القرآن [5]، إذا تكلمنا عن مصادر التأليف في علم التصوف في الغرب

---

[1]-الحارث بن أسد المحاسبي،آداب النفوس ويليه كتاب التوهم،تحقيق عبد القادر احمد عطاء، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان،ص50-ص78.

[2]-الزر كلي ،مصدر سابق،ج 03، ص224-225.

[3]-مجدي محمد إبراهيم،التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي،طبعة01،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،ص650-ص656.

[4]-أبو يزيد البسطامي،المجموعة الصوفية الكاملة،تحقيق قاسم محمد عباس،دار الثقافة للنشر سوريا دمشق،ص69-72.

[5]-زكي مبارك،التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،مؤسسة هنداوي للنشر القاهرة،ص198-199.

الإسلامي علينا ذكر أهم مصدر استقى منه التأليف في مجال التصوف، وهو العالم المتصوف ‹**أبو حامد الغزالي**›[1] ت سنة 520هـ يعتبر مصدر مهم للتصوف السني تأثر بمؤلفاته الكثير من الصوفيون المغاربة، خاصة الذين ألفوا كتبا حول التصوف السني يذكر له المترجمون مؤلفات كثيرة حول التصوف منها(إحياء علوم الدين،المنقذ من الضلال، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، جواهر القرآن،الاقتصاد في الاعتقاد، بداية الهداية، إلجام العوام عن علم الكلام، الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة)هذا جزء من مؤلفاته جلها تتحدث عن التصوف السني المعتدل وتقف ضد علم الكلام والتصوف الفلسفي[2].

بعد ذكرنا لأهم مصادر التصوف في المشرق الذين تعددت مصادر كتاباتهم فمنهم من اعتمد على المصدر الديني، الكتاب والسنة ومنهم من اعتمد على الفلسفة كمصدر للتأليف هذه المصادر تأثر بها الأعلام والمتصوفة في بلاد الغرب الإسلامي، ومن أهم مصادر التأليف الصوفي في الغرب الإسلامي نجد:‹ أبو حسن الشاذلي ت عام 656هـ›[3]، تفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة فنسب إليها أهم مؤلفاته:‹ رسالة آمين في آداب التصوف› ونسب إليه الشعراني في كتاب الطبقات الجزء الثاني عدة مؤلفات منها ‹ نزهة القلوب وبغية المطلوب، السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل، المفاخر العليا في المآثر الشاذلية ›[4].

‹أبو مدين التلمساني ت عام594هـ ›[5]. كان زاهدا فاضلا عارفا بالله قد نال من المعارف أسرار، خصوصا مقام التوكل أشتهر بالتأليف ومن بين مؤلفاته:‹ مفاتيح الغيب لإزالة الريب، وكتاب ستر العيب

---

[1]–أبو حامد الغزالي:هو محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام الفقيه الشافعي المتصوف،وقد نسبه البعض إلى الغزالي بتشديد الزاي،ونسبه إلى الغزال حرفة والده ولد بطوس سنة 450هـ اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة،وهو الملقب بمجد الدين درس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة وت بقز وين سنة 520هـ.أنظر:ابن خلكان ،مصدر سابق،ج01،ص207.

[2]–الزر كلي،مصدر سابق،الجزء07،ص247.

[3]– أبو حسن الشاذلي: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذ لي المغربي أبو حسن، رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة وصاحب الأوراد المسماة حزب الشاذلي، ولد في بلاد غمارة بريف المغرب ونشأ في بني زرويل قرب شفشاون. أنظر: الزركلي، مصدر سابق،ج4 ،ص301.

[4]– الشعراني،مصدر سابق،ج02،ص296-303.

[5]– أبو مدين التلمساني: شعيب بن حسن الأندلسي التلمساني صوفي من مشاهيرهم أصله من الأندلس أقام بفاس وسكن بجاية ،وت بتلمسان وقد قارب الثمانين أو تجاوزها توفي سنة 594هـ.أنظر أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج،ص127.

›[1]، ‹ابن النحوي ت سنة513ه›[2]. ينسب له المترجمون العديد من الرسائل وقد أصدر كذالك فتوى للرد على فقهاء تلمسان، حين سألوا عن كتاب الإحياء وهي متواجدة على شكل مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، وابن النحوي من بين الصوفيين المغاربة المتأثرين بالغزالي ومنهجه في التأليف[3].

ونذكر منهم كذالك‹أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي ت سنة580ه-1185م›[4]، كان يسمى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علم الظاهر والباطن، له مصنفات نذكر منها:‹التذكرة في أصول علم الدين، النبراس في الرد على منكر القياس› وله كتاب آخر في علم التذكير سماه كتاب‹التفكر فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات› وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد الغزالي في كتاب الإحياء، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن[5].

‹أبو قاسم البجائي ت سنة599ه›[6] له عدة تصانيف منها(تبصير القلوب) فرغ من تأليفه سنة 599ه ولديه كذالك كتاب(قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين) ولديه كذالك مؤلف(محجة السعادة)[7]، ‹أحمد بن عمر الأندلسي›ت سنة 685ه يلقب بأبي العباس المرسي صوفي مغاربي خليفة الشيخ أبي حسن الشاذلي ، الإمام العارف القطب له مجلس عظيم في المعارف والحقائق والرقائق له مؤلفات في التصوف منها:(الإحياء والقوت ونوادر الترمذي الحكيم)[8].

---

[1]-ابن مريم، مصدر سابق،ص108.

[2]-ابن النحوي:هو أبو الفضل يوسف ابن محمد المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد وأصله من توزر،صحب أب حسن اللخمي وأخذ عن أبي الفضل أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمامة.أنظر:التادلي ،مصدر سابق،ص95.

[3]-التادلي،نفسه،ص96-97.

[4]-أبو علي بن محمد المسيلي:الشيخ الفقيه الفاضل العالم العامل العابد المجتهد الإمام أبو علي حسين بن علي بن محمد المسيلي،كان يسمى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن ت سنة580ه -1185م.أنظر:الغبريني،مصدر سابق،ص33.

[5]-الغبريني،مصدر سابق،ص34-35.

[6]-البجائي:عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان أبو قاسم البجائي متصوف من العلماء نسبته إلى بجاية،بين إفريقيا والمغرب ت سنة 599ه.أنظر:الزركلي،مصدر سابق،الجزء03،ص342.

[7]-الزر كلي،نفسه،ج03،ص343.

[8]-أحمد بابا التنبكتي،مصدر سابق،ص81.

‹عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي›ت سنة662هـ[1] يذكر له المترجمون عدة تآليف في علم التصوف منها(الإسعاد في شرح الإرشاد، وشرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، وشرح التلقين،وشرح الأسماء الحسنى، وشرح العقيدة البرهانية) وكتاب آخر(منهاج المعارف إلى روح العوارف) بين فيه تأويل أكثر المشكلات ومختصره يسمى(إيضاح السبيل إلى منهج التأويل)[2].

‹ ابن زاغو المغراوي التلمساني›[3]ت سنة 845هـ له عدة تآليف منها (شرح التلمسانية في الفرائض، مقدمة مقدمة في التفسير، وتفسير الفاتحة، وله كذلك حكم ابن عطاء الله وشرحها لابن عباد الرندي، وكتاب لطائف المنن، والتصوف وتصحيح تآليفه)[4].

‹محي الدين ابن عربي ت628هـ-1240م›[5] يذكر له المترجمون حوالي 251 مؤلف في التصوف ويعتبر من أئمة المتكلمين في كل علم،له من التآليف(الفتوحات المكية، فصوص الحكم، شفاء الغليل في إيضاح السبيل في الموعظة، المنهج السديد في ترتيب أحوال الإمام أبي يزيد البسطامي) من الأعلام المغاربة الذين تأثروا بمؤلفات البسطامي ومنهجه في التصوف[6].

---

[1]-القرشي التميمي،أبو محمد الإمام العلامة المؤلف المحصل الجامع المحقق نزيل تونس ولد سنة606هـ،كان رحمه الله حبرا صوفيا وعالما جليلا.أنظر :نيل الابتهاج،ص268.

[2]-محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف،مصدر سابق، ص190.

[3]-أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المشهور بابن زاغو المغراوي التلمساني ولد سنة782هـ الإمام العالم القائل الولي الصالح الصوفي،الزاهد العلامة المحقق أخذ العلم عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد ألعقباني ت سنة845هـ.أنظر:التنبكتي،مصدر سابق ،ص118-120.

[4]-ابن مريم،مصدر سابق،ص41.

[5]-ابن عربي،الشيخ الجليل الفقيه الحافظ المتصوف المحقق أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي،المعروف بابن سراقة ويلقب بمحي الدين ويعرف بابن عربي أصله من مرسية وسكن اشبيلية ولد سنة 560هـ-1165م وت سنة628هـ-1240م.أنظر:ابن خلكان ،مصدر سابق ،الجزء04،ص296.

[6]-الغبريني،مصدر سابق،ص156-157.

‹ابن سبعين ت669هـ›[1] . يعتبر من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود له الكثير من المؤلفات أهمها:(شرح كتاب إدريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحرف، الحروف الوضعية في الصور الفلكية، كتاب اللهو، كتاب أسرار الحكمة المشرقية) ونشر حديثا كتاب(رسائل ابن سبعين)[2].

‹أبو حسن الششتري ت668هـ›[3] الفقيه الصوفي ألف العديد من الكتب على المذهب الصوفي منها:(المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، المراتب الإيمانية والإسلامية و الإحسانية، العروة الوثقى في بيان السنن وما يجب أن يفعله المسلم، وله ديوان شعري)[4] ‹العفيف التلمساني ت سنة690هـ›[5] شاعر صوفي صوفي من مدينة تلمسان اتبع طريق محي الدين ابن عربي، حيث كان يعتقد بوحدة الوجود من أهم مؤلفاته:(شرح أسماء الله الحسنى،شرح مواقف النفزي، شرح فصوص الحكم لابن عربي، شرح منازل السائرين للأنصاري الهروي).

2-/1المبادئ والأسس التي قام عليها التأليف:

أ- مبدأ التصوف إسلامي منهجه قائم على الكتاب والسنة كان التصوف عند أول تكونه العلمي أخلاق دينية،لأن مبدؤه والأساس الذي قام عليه هذا المذهب إسلامي استمد من القرآن الكريم والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم، مع العلم أن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن لتخرج عن نطاق السنة والكتاب وبهذا يكون المبدأ الحقيقي للتصوف في بادئ الأمر هما القرآن والسنة في الحقيقة[6].

---

[1]-ابن سبعين:هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الاشبيلي المرسي من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود ،توفي سنة669هـ.أنظر:عنوان الدراية،للغبريني ،ص58.

[2]-الزركلي،مصدر سابق،الجزء02،ص280.

[3]-الششتري :علي بن عبد الله النميري الششتري المعروف بأبي حسن ولد سنة 610هـ وتوفي بدمياط سنة668هـ ،حيث اختلف في سنة وفاته فالمقري يذكر تاريخ وفاته سنة 667هـ.أنظر:المقري ،مصدر سابق،ص161.

[4]-الزر كلي،مصدر سابق،الجزء04، ص301-302.

[5]-العفيف التلمساني: سليمان بنعلي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني ولد سنة 610هـ -1213م بتلمسان شاعر صوفي ،كومى الأصل(من قبيلة كومة) تنقل في بلاد الروم وكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح القوم ،ت بدمشق سنة690هـ-1291م.أنظر:الأعلام للزركلي،الجزء03،ص130.كما ترجم له الكتبي،فوات الوفيات،مصدر سابق،الجزء01،ص177.

[6]-أبو الوفاء الغنيمي،مرجع سابق،ص37-38.

وقد بين لنا الطوسي في كتابه (اللّمع)أن التصوف قام على مبدأ الأخلاق حيث يقول أن التصوف تميز بميزة الأخلاق، وأن للصوفية تخصيصا بمكارم الأخلاق والبحث في معالي الأحوال وفضائل الأعمال اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم، وهذا كله-على حد تعبيره-(موجود علمه في كتاب الله عز وجل) وأن التصوف يبدأ بمجاهدة النفس أخلاقيا ويتدرج السالك له في مراحل متعددة تعرف عندهم بالمقامات والأحوال[1]، والدليل على أن مبدأ التصوف إسلامي من القرآن والسنة أن صفاتهم تستند إلى آيات من القرآن، التي تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال مثل قوله تعالى:﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾[2]. وهذا دليل على صفة الخوف وأما قوله تعالى﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾[3]. ويرد إلى مقام الحياء.

التزم الصوفية بالسنة واقتدوا بها واعتبرت كمبدأ هام في التصوف أي الاقتداء بحياة النبي وأخلاقه، وأما عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد بلغ الكمال وقد قال الله تعالى:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[4]، وسئلت عائشة عن خلقه فقالت(كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) وليس من شك في أن النبي كان المثل الأعلى للمسلمين جميعا بما فيهم الصوفية [5].

المبدأ والأساس الأخلاقي للتصوف حيث يقوم على مبدأ الروحانية والضعف والأخلاق الكريمة، التي تكسب الفرد المنزلة العليا عند الله سبحانه وتعالى والزهد عن ملذات الدنيا،لأن التصوف نشأ في ضلال الضعف أي نشأ في ضلال الحق، وأقرب آثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن ذالك الكتاب الذي اتخذ منه التصوف مبدأ لمنهجهم، والدليل على ذالك تحدث القرآن على التحلي بالأخلاق الحسنة كالصبر والشكر والحياء، ونجد بأن هذه المميزات أهم ما تميز به التصوف الإسلامي[6].

ب-المبادئ والأسس الفلسفية أو العقلية للتصوف:

---

[1]-السراج الطوسي،مصدر سابق،ص31.

[2]-سورة النازعات،الآية 40-41.

[3]-سورة العلق،الآية14.

[4]-سورة القلم،الآية04.

[5]-أبو الوفاء الغنيمي،مرجع سابق،ص45-48.

[6]-زكي مبارك،مرجع سابق،ص383-384.

في حين يدرج بعض المؤرخين أن المبدأ الذي قام عليه التصوف فلسفي، فهو ينظر إلى التصوف بأنه علم عقلي وأنه مذهب دخيل لا علاقة له بالإسلام، وأنه قام على أساس كلامي أو أفكار فلسفية نتيجة تشبعه بالثقافة اليونانية والهندية، ويقولون بأن التصوف ما هو إلا نتاج خالص للفكر الفارسي والهندي وهذا نتاجا لفكرة صدور كل شيء عن الله والقول بأن العالم لا وجود له في ذاته، وأن الموجود الحقيقي هو الله جل هذه الأفكار الفلسفية التي وصلت إلى الإسلام بفضل الترجمة امتزجت بأفكار التصوف، والدليل على هذا أن هذه المبادئ من الديانة الفارسية كان يفيض بمعانيها التصوف الإسلامي.[1]

فيرد عليه بأن مثل هذه الأفكار والمبادئ الفلسفية التي تشبع منها التصوف، توجد عند أصحاب وحدة الوجود الذين ظهروا في وقت متأخر في القرن6-7هـ ويرجعون الدليل إلا أن مبدأ التصوف فلسفي،إلى التشبه بين حياة الزهاد والصوفية وأفكار الفلاسفة المتأثرين بالثقافات الأجنبية كالأفلاطونية المحدثة والمسيحية[2].

[1]-أبو الوفاء الغنيمي،مرجع سابق،ص26.

[2]-أبو الوفاء الغنيمي،مرجع سابق،ص27.

الخاتمة:

وفي الأخير وكخلاصة لبحثنا حول التأليف الصوفي بالغرب الإسلامي من القرن الخامس إلى التاسع الهجريين توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات ندرجها فيما يلي:

- التصوف من القرن السادس هجري إلى غاية القرن التاسع هجري يمثل أهم مرحلة مر بها التصوف، خاصة في بلاد الغرب الإسلامي وتعتبر هذه الفترة بمثابة العصر الذهبي، وفقا لتهيئ الظروف الملائمة لانتشار التصوف بقوة والمتمثلة في الاستقرار السياسي لبلاد الغرب الإسلامي،وبروز حياة الترف وانتشار الثراء الاقتصادي،فانتشر التصوف كرد فعل على الأوضاع السائدة في مجتمع الغرب الإسلامي.
- انتشار التصوف في الغرب الإسلامي جاء نتيجة تضافر مجموعة من العوامل الخارجية والتي تمثلت في الحج والرحلة وانتشار المصنفات ، التي كان لها وزن في نشر تعاليم الفكر الصوفي كما كان للعوامل الداخلية، دور في نشر التصوف وتطويره بشكل من الأشكال كالاستقرار السياسي للدولة وانتشار البذخ وحياة الترف وظهور البدع والخرافات في المجتمع، فانتشر التصوف لمجابهة هذه الأوضاع الفاسدة.

- تعدد وتنوع التصوف في بلاد الغرب الإسلامي يرجع إلى التأثر بأفكار التصوف التي انتشرت في بلاد المشرق الإسلامي،ويظهر هذا من خلال أهمية كتاب الإحياء للغزالي الذي يعتبر أهم مصنف أثرى الفكر الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي.
- تطور التصوف وتعدد اتجاهاته يعود إلى تشبعه بالثقافات الأجنبية الأخرى التي وصلت إلى بلاد الغرب الإسلامي،كالأفلاطونية المحدثة والعديد من الأفكار الفلسفية التي غيرت الفكر الصوفي من مبدأه الأول.
- تعدد المدارس في بلاد الغرب الإسلامي كان لها دور فعال في نشر التصوف بالغرب الإسلامي،نذكر على سبيل المثال مدرسة ابن مسرة والدور الذي لعبته في إثراء الفكر الصوفي من خلال التدريس لتعاليم هذا المذهب، وكذا التنقلات الكثيرة للمتصوفة بين أقطار العالم الإسلامي والنهل من جميع مشارب التصوف من خلال الالتقاء بكبار المتصوفة.
- تميز التأليف في مجال التصوف في بلاد الغرب الإسلامي بغزارته وتنوع مشاربه حيث شمل مختلف المجالات ، الذي كان يستمد من الكتاب والسنة وعدم الخروج على الشرع، باستثناء بعض المؤلفات التي استمدت أفكارها من بعض الثقافات الفلسفية التي انتشرت بفضل الترجمة، بحيث أصبحت هذه المؤلفات ذات وزن وتفوقت على

نظيرتها المشرقية بالرغم من أن التصوف كان له السبق في الانتشار في المشرق الإسلامي.

قائمـــة الملاحــق:

ملحق رقم01: نص يتحدث عن التصوف مأخوذ من كتاب المنقذ من الظلال لأبي حامد الغزالي،ص17-18.

يقول:ثم إني لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين،وبان لي في أثناء ذالك على الضرورة من أسباب لا أحصيها،مرة بالذوق ومرة بالعلم البر هاني ومرة بالقبول الإيماني،أن للإنسان بدنا وقلباً،وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي في محل معرفة الله، وأن البدن له صحة بها سعادته ومعرض فيه هلاكه وأن القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو:﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وله مرض فيه هلاكه الأبدي الأخروي، كما قال الله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ ويقوى كما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها، وكذلك العبادات هي أدوية القلوب.

و يقول ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة، ثم في حقيقة النبوة، ثم في العمل بما شرحته النبوة، وتحققنا من شيوع ذلك بين الخلق. فنظرت إلى أسباب فتور الخلق وضعف إيمانهم فإذا هي أربعة:

*سبب من الخائضين في علم الفلسفة.

* وسبب من الخائضين في طريق التصوف.

* وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم.

* وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس.

فقال ظهر أناس في هذا العصر يدعون علم التصوف ويزعمون أنهم قد بلغوا مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العبادة، ومنهم من يتعلل شبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة، وهؤلاء هم الذين ظلوا عن التصوف، وهذا هو منتهى إيمان من قرأ مذهب الفلسفة

الإلاهيين منهم، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفرابي وهؤلاء هم المتجملون بالإسلام، فترى الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه، ولكنه مع ذلك لايترك شرب الخمر.

فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب، ورأيت نفسي ملية بكشف هذه الشبهة، حتى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء، ولكثرة خوضي في علومهم وطرقهم وأعني طرق الصوفية، والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء، وانقدح في نفسي إذ ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة، ولم ترخص لنفسك عسر معاناة الخلق والله سبحانه وتعالى يقول﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾

ملحق رقم02: نص مأخوذ من كتاب الفتوحات الملكية لإبن عربي ص288.

الحدود الذاتية الإلاهية التي يتميز بها الحق من الخلق لا يعلمها إلا أهل الرؤية، لا أهل المشاهدة ولا غيرهم ولا تعلم بالخبر لكن قد تعلم بعلم ضروري يعطيه الله من يشاء من عباده، لا يلحق بالخبر الإلهي ومن ثم أمر لا يدرك من جهة الخبر الإلهي، إلا هذا وما عدا هذا فلا يعلم إلا بخبر الإلهي أو علم ضروري لا غير فحدود الموجودات على اختلافها هي حدود الممكنات من حيث أحكامها في العين الوجودية، وحد العين الوجودية الذاتي ليس إلا العين كونها موجودة فوجودها عن حقيقتها إذ ليس لمعلوم وجود أصلا وغاية العارفين أن يجعلوا حدود الكون بأسره هو الحد الذاتي لواجب الوجود والعلماء بالله فوق هذا الكشف.

والمشهد كما ذكرناه قبل وهم رضا الله عنهم يحافظون على هذا المقام لسرعة تفلته من قلوبهم، فإن من لم تستصحبه الرؤية دائما مع الأنفاس فإنه لا يكون من هؤلاء الرجال وهذا المقام من يقول: ما رأيت إلا الله فإن قيل له فن الرائي قال هو فان، قيل له

فن القائل قال هو فان، قيل له فن السائل قال هو فان، قيل له كيف الأمر قال نسب تظهر فيه منه له فأثم في ثم إلا هو عين ثم وهذا هو مشهد أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه بالحال:

إن لله حدودا عرفت بوجودي و بها قد عرفا

لو يراها أحد من خلقه مثلما شاهدتها ما انصرفا

لا يرى ما قلته إلا الذي لم يزل بربه متصفا

أو عليها من دليل قاطع بوجودي أو حكيما منصفا

وممن عرف الحق ما كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه فن قواه العلم بالأمور والحق تلك القوة، والعبد موصوف بها فهو موصوف بالحق والحق يعلم نفسه فهذا العبد عالم به من حيث ماهو الحق عن صفته فأعلمه إلا به ومن له هذا المقام من العلم بالله فلا يجاريه أحد في علمه بالله فهذا هو العالم بالحد الذاتي الذي لا ينقال(وصل).

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر الأساسية:

1-القرآن الكريم

2-الحديث النبوي الشريف

ب- المصادر:

1-ابن خلدون عبد الرحمان:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول والسادس والسابع، ط01، دار الفكر بيروت لبنان، سنة2002.

2-ابن خلدون عبد الرحمان،شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ،ط01، دار الفكر دمشق سوريا، سنة1996م.

3-أبو نصر السراج الطوسي، كتاب اللمع، تحقيق كل من عبد الحليم محمود والدكتور عبد الباقي سرور، ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، سنة1380هـ-1960م.

4-أبو القاسم القشيري:الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود مع الدكتور محمود بن شريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للنشر القاهرة، سنة1404هـ-1989م.

5-عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس إبليس،ط02، دار الكتب العلمية للنشر بيروت، سنة 1368هـ.

6-محمد الكلاباذي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

7-يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط02، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سنة1997م.

8-المقديسي ابن القيسراني، صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم عدرة، ط01، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، سنة1416هـ-1995م.

9-أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط01، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، سنة1426هـ-2005م.

10-ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، الجزء03، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

11-شهاب الدين أبو حفص السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق كل من الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، الناشر دار المعارف شارع كورنيش النيل القاهرة.

12-ابن عربي الحاتمي الطائي، الفتوحات المكية، نسخة المؤلف موجودة بدينا قونيا، طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، تتوفر على أربع أجزاء.

وكتاب فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء العفيفي، الجزء01، دار النشر بيروت، سنة1946م.

13-ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، سنة1397هـ-1977م.

14-عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني،اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الجزء01، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ولديه كذلك كتاب الطبقات الكبرى، الجزء02.

15-محمد ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،تحقيق إحسان عباس، ط01، دار صادر بيروت، سنة 1973م.

16-محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ط01، الجزء08، دار الجيل بيروت، سنة1992م.

17-الحارث بن أسد المحاسبي، آداب النفوس،تحقيق عبد القادر أحمد عطاء، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان.

18-أبو يزيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق قاسم محمد عباس، دار الثقافة للنشر سوريا دمشق.

19-محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط01، دار الكتب العلمية بيروت، سنة2002م.

20-أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان محمد بن القسم، مكتبة المعارف بالتصرف، الجزء10.

21-المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثاني والثالث.

22-ابن بطوطة، تحفة النظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة1985م.

23-أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت.

24-ابن فرحون، الديباج المهذب في معرفة أعيان المذهب،

25-يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، الجزء01.

26-ابن عذاري، البيان المغرب،الجزء04، تحقيق إحسان عباس.

27-البيدق،أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة ليفي بروفنسال، باريس سنة 1928م.

28-الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد السيد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

29-أبو العباس المراكشي، الأعلام ممن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الجزء 01،راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية الرباط، سنة1993م-1998م.

30-المنوفي، ورقات الآداب عن حضارة المرنيين، ط02، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سنة1416هـ-1996م.

31-أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج(في التراجم المالكية)، ط01، تعليق أبو يحي الكندري، دار ابن حزم بيروت لبنان، سنة1422هـ-2002م، وكتاب نيل الابتهاج في تطريز الديباج.

32-الحنبلي أبو عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء04، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، مجلد02.

33-ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة الشيخ محمد بن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي وأخيه، سنة1908م.

34-ابن قطان،نظام الجمان، دون طبع، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية تطوان المغرب.

35-تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء 06، تحقيق فؤاد السيد،مطبعة السنة المحمدية عابدين القاهرة مصر، سنة1385هـ-1966م.

36-الصدفي، السر المصون فيما أكرم به المخلصون، ط01، تحقيق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، سنة 1409هـ-1989م

37-ابن عريف أبو العباس، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، ط01

كتب التراجم:

01-خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الآبري اغناطيوس، ط04، دار العلم للملايين بيروت لبنان، سنة 1986م.

02-عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد أديب الجادر،05أجزاء، دار صادر بيروت.

03-عبد الوهاب ابن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء02، المطبعة الملكية الرباط،سنة 1399هـ-1979م.

المعاجم:

01-عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلات، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت،سنة 1402هـ-1982م.

02-علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر القاهرة.

المراجع:

01-أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، سنة1394هـ-1979م.

02- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، تصدير عاطف العراقي، ط1، الناشر مكتبة الثقافة الدينية شارع بور سعيد القاهرة.

03- محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، دار الكتب اللبناني بيروت.

04- منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

05-صابر طعيمة، دراسات في الفرق(الشيعة-النصيرية-الباطنية- الصوفية-الخوارج)، مكتبة المعارف الرياض، سنة1403هـ-1983م.

06- لطيفة بكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، ط1، دار الطبع بيروت لبنان، سنة 2001م.

07- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن5هـ، جامعة القاهرة، الناشر دار النهضة العربية شارع عبد الخالق ثروت.

08- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي جواد حسن بالقاهرة.

09- يوسف محمد طه زيدان، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، ط1، دار الجيل بيروت، سنة 1411هـ-1991م.

10- عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف،ط16، دار العرفان سوريا حلب،سنة1427هـ-2007م.

11- لويس ماسينون، بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الإسلامي، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، عبد الحميد يونس حسن عثمان، ط1، باريس، سنة 1922م.

12- صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، مكتبة دار الرشد بالرياض، سنة 1415هـ-1994م.

13- يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، دار النشر جنين شركة ترادكسيم، سنة 1986م.

14- آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد مع الدكتور رضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل كولونيا (ألمانيا) بغداد، سنة 2006م.

15- أحمد أمين، ظهر الإسلام،ج2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة.

16- عبد الحق الاشبيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق أبي عبد الله حسن بن عكاشة، مجلد1... مكتبة الرشد بالرياض.

17- محمد قبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،ط1، دار توبقال للنشر بلقدير الدار البيضاء.

18- أبو عباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد توفيق، مكتبة خدمة الكتاب شارع علال بن عبد الله.

19- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للنشر القاهرة.

20- أبو أدهم عبادة بن عبد الرحمان، القطوف الدواني في التاريخ الإسلامي، ط1، منشورات جامعة القاهرة، سنة 1998م.

21- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، سنة 1991م.

22- العربي بن مصطفى الثوار، ديوان القطب الرباني العارف بالله الغوث الهمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين الاشبيلي(ت594هـ)، مطبعة الشرقي بدمشق، سنة1357هـ-1938م.

23- حسن جلاب، بحوث في التصوف المغربي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، سنة 1416هـ-1995م.

24- مصطفى بن سباغ، السلطة بين السنن والتشيع والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين، ج1، تقديم محمد بن عبود، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، مطابع الشويح تطوان، سنة 1999م.

25- مصطفى كامل الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، ط2، دار الأندلس لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، سنة1982م.

26- طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 6و7هـ.

27- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، ط1، دار الطليعة بيروت، سنة1993م.

28- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، سنة 1950م.

29- أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن6هـ، ط1، دار الشروق بيروت، سنة1403هـ-1993م.

30- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539هـ،1089-1144م)، القافلة للنشر والتوزيع، القسم 2.

31- عبد الكريم الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بوزريعة الجزائر، سنة 1997م.

32- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار مطابع المستقبل، بالفجالة القاهرة، سنة 1980م.

33- خالد عبد المحسن، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث، الرياض، سنة 1426هـ.

34- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها وتطورها وروادها، دار المعارف القاهرة، سنة1995م.

35- عبد الهادي إسعاد،كشف المحجوب للهج ويري،ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ، مكتبة الإسكندرية.

36-بالنشيا أنخل خبثالث، ت اريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، سنة1945م.

المجلات والرسائل:

01-رابح بونار، عبد الحق الاشبيلي محدث القرن06هـ، مجلة الأصالة، العدد19، السنة 4مارس أفريل 1974م.

02-زينب ملياني، التصوف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر 2006-2007م.

03- عبد الإله حمزاوي، رحلة الحج بالمغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر01، السنة الجامعية 2014-2015م.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ . هـ.
المبحث التمهيدي.....8-28.
المبحث الأول: عوامل ظهور التصوف في الغرب الإسلامي.....30-45.
1. عوامل خارجية.....30-39.
2. عوامل داخلية.....40-45.
المبحث الثاني: تطور التصوف في الغرب الإسلامي.....47-71.
1. أقطاب التصوف السني.....47-65.
2. أقطاب التصوف الفلسفي.....66-71.
المبحث الثّالث: خصائص ومظاهر التّأليف الصوفي خلال القرن 9.5هـ.....73-93.
1. مجالات التأليف.....73-84.
2. مصادر و مبادئ التأليف الصوفي.....84-93.
خاتمة.....95-96.
الملاحق.....98-100.
المصادر والمراجع.....102-111.
الفهرس.